التفسير السياسي للإسلام عند جماعة الإخوان المسلمين وآثاره عرض ونقد

الباحثة/ ريهام بنت عبدالرحمن بن إبراهيم الهزَّاع
باحثة ماجستير، قسم العقيدة والمذاهب المعاصرة
كلية الشريعة والدراسات الإسلامية بجامعة القصيم

بسم الله الرحمن الرحيم

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونتوب إليه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبد الله ورسوله.

فمن البلايا التي أصابت الأمة الإسلامية تفسيراً سياسياً محدثاً للإسلام؛ والذي انتهجته جماعة الإخوان المسلمين وجعلته من أهم أصولها الفكرية فألبست الحق بالباطل، والسنة بالبدعة، وخالفت علماء الملة وشذت عنهم في منهجها ومعتقداتها؛ ويعود هذا الأصل إلى رسائلَ وكتاباتِ المؤسِّس حسن البنا بإشاراتٍ غير صريحة، ورسائلَ ومحاضراتِ أبي الأعلى المودودي بشكلٍ جليٍّ، ثم أخذ يتجسَّد بلفظِه ومعناه الصريح في كتابات سيد قطب، ويتمثَّل هذا الأصل الخطير بانحرافِهم في تفسير أصل الدين وغايته؛ من خلال انحرافِهم في تفسير ماهية التوحيد وماهية الشرك، وتحريف دعوة الرسل والأنبياء؛ وتبرير ذلك لتأسيس حكمٍ إسلاميٍّ على هذه الأرض يحكُم الناس ويَسُوسُهم تحت غطاء (إقامة الدولة الإسلامية)؛ ومن هنا جاءت فكرة هذا البحث تحت عنوان: " **التفسير السياسي للإسلام عند جماعة الإخوان المسلمين وآثاره**" عرض ونقد.

الملخص:

يهدف البحث لدراسة وتحليل مفهوم التفسير السياسي للإسلام، الذي تبنته جماعة الإخوان المسلمين عند كبار منظريها (حسن البنا، أبو الأعلى المودودي، وسيد قطب) ومنهجيتهم التي ساروا عليها؛ وعرض الأركان التي قام عليها هذا التفسير المحدث للإسلام، وتتبع الآثار المترتبة على ذلك، مع النقد العلمي في ضوء القرآن الكريم والسنة النبوية وعقيدة السلف الصالح.

الكلمات المفتاحية:

(التفسير السياسي- جماعة الإخوان- الجماعات الإسلامية- حسن البنا- أبو الأعلى المودودي- سيد قطب).

The Political Interpretation of Islam by the Muslim Brotherhood Group and Its Effects: Presentation and Critique

Reham bint Abdul Rahman bin Ibrahim Al-Hazza.

Department of Creed and Contemporary Doctrines-College of Sharia and Islamic Studies -Qassim University.

E-mail: Alhazzaareham@gmail.com

Abstract:

The research aims to study and analyze the concept of political interpretation of Islam, adopted by the Muslim Brotherhood group among its prominent theorists (Hassan al-Banna, Abu al-A'la al-Maududi, and Sayyid Qutb), along with their methodology they followed. It also presents the pillars upon which this modern interpretation of Islam was based, and traces the consequences thereof, with scientific critique in light of the Holy Quran, the Prophet's Sunnah, and the creed of the righteous predecessors.

Keywords: Political interpretation - Muslim Brotherhood group - Islamic groups - Hassan al-Banna - Abul A'la Maududi - Sayyid Qutb.

مشكلة البحث:

تدور مشكلة البحث حول:-

١-ما مفهوم التفسير السياسي للإسلام الذي تبنته جماعة الإخوان المسلمين؟

٢-ما الآثار المترتبة لمفهوم التفسير السياسي للإسلام الذي تبنته جماعة الإخوان المسلمين؟

أهمية البحث:

تبرز أهمية البحث من خلال ما يلي:-

١-عرض الانحرافات الفكرية لدى مؤسس جماعة الإخوان وكبار رموزها في تفسيرهم السياسي للإسلام.

٢-إبراز جهود علماء الأمة في الرد على انحرافات جماعة الإخوان في تفسيرهم السياسي للإسلام.

أهداف البحث:

١-بيان مفهوم التفسير السياسي للإسلام الذي تبنته جماعة الإخوان المسلمين.

٢-بيان الآثار المترتبة لمفهوم التفسير السياسي للإسلام الذي تبنته جماعة الإخوان المسلمين.

حدود البحث:

يهدف البحث لدراسة مفهوم التفسير السياسي للإسلام عند كبار منظري ورموز جماعة الإخوان المسلمين (حسن البنا، أبو الأعلى المودودي، وسيد قطب) ومنهجيتهم التي ساروا عليها.

الدراسات السابقة:

من خلال مراجعة البحوث والرسائل العلمية لم أجد عنوان مستقل أفرد لدراسة التفسير السياسي للإسلام عند جماعة الإخوان المسلمين وآثاره، ولكن وجدت من ضمَّن التفسير السياسي للإسلام عند بعض رموز جماعة الإخوان ضمن دراسته وتأليفه؛ وقد استفدت من الجميع بشكل أو بآخر، فجزاهم الله خيراً؛ ومن أمثلة ذلك:-

١-التفسير السياسي للدين، تأليف: العلامة وحيد الدين خان، الناشر: مركز دراسات تفسير الإسلام.

٢-رسالة ماجستير بعنوان: منهج الاستدلال عند الخوارج في العصر الحاضر، للدكتور: إبراهيم صالح المحيميد، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة.

٣-مقدمة في تفسير الإسلام، تأليف: عبدالحق التركماني، الناشر: مركز دراسات تفسير الإسلام.

منهج البحث:

سأسلك في هذا البحث المنهج الاستقرائي، والمنهج التحليلي، والمنهج النقدي وذلك من خلال:-

استقراء وتحليل مفهوم التفسير السياسي للإسلام الذي تبنته جماعة الإخوان، ودراسة أركانه التي قام عليها، وتتبع الآثار المترتبة على ذلك، مع النقد العلمي في ضوء القرآن الكريم والسنة النبوية وعقيدة السلف الصالح.

خطة البحث:

اشتملت خطة البحث على مقدمة، وتمهيد، وثلاثة مباحث، وخاتمة، وتوصية، وفهرس مصادر ومراجع.

المقدمة:

اشتملت على مشكلة البحث، وأهميته، وأهدافه، وحدوده، والدراسات السابقة، ومنهج البحث، وخطته، ومصادره.

التمهيد: لمحةٌ عن نشأة جماعة الإخوان المسلمين.

المبحث الأول: تعريف التفسير السياسي للإسلام وأركانه.

المبحث الثاني: التفسير السياسي للإسلام عند كبار رموز جماعة الإخوان، **وتحته ثلاثة مطالب:**

المطلب الأول: التفسير السياسي للإسلام عند حسن البنا.

المطلب الثاني: التفسير السياسي للإسلام عند أبي الأعلى المودودي.

المطلب الثالث: التفسير السياسي للإسلام عند سيد قطب.

المبحث الثالث: الآثار المترتبة لمفهوم التفسير السياسي للإسلام الذي تبنته جماعة الإخوان.

التمهيد: لمحةٌ عن نشأة جماعة الإخوان المسلمين.

تأسَّستْ جماعة الإخوان المسلمين على يد حسن أحمد البنَّا[١]، في مدينة الإسماعيلية في مصر، عام (١٩٢٨م)[٢]؛ إذ قام بتأسيس الجماعة وهو لا يزال مُعلمًا شابًّا متخرجًا في دار العلوم في القاهرة، للتمسُّك بالدين وأخلاقيَّاته من خلال الدعوة والوعظ، وقد أنشأ في البداية (جمعية الإخوان الحصافية الخيرية)[٣]، وخَلَفَتها بعد ذلك (جماعة الإخوان المسلمين)[٤].

وكانت الشرارة الأولى لتشكيل جماعة الإخوان ستةَ تلاميذَ[٥] من الذين تأثَّروا بمحاضرات حسن البنا من أهالي الإسماعيلية، شكَّلوا فيما بعدُ مَرْتعًا خَصْبًا لنشأة (جماعة الإخوان المسلمين)؛ حيث أخذ حسن البنا منهم القَسَم والبيعة، بعد مشاورة معه على تحديد مُسمًّى لهم، فقال: «نحن إخوةٌ في خدمة الإسلام، فنحن إذن: الإخوان المسلمون» [٦].

ومن الإسماعيلية انتقل الإخوان إلى القاهرة؛ حيث برز نشاط الجماعة بشكلٍ ملحوظٍ، وذلك إيذانًا بدخول الجماعة مرحلةً جديدةً، فقد تمكَّن حسن البنا من توسيع دائرة دعوتِه، وتأسيس عددٍ من الشُّعب في بعض القُرى والبلدات.[٧]

(١) حسن بن أحمد بن عبد الرحمن البنا الساعاتي، وُلد بمصر سنة (١٩٠٦ م)، تخرَّج في دار العلوم بالقاهرة عام ١٩٢٧م، وعُيِّن مُدرسًا ، وهناك بدأ نشاطه الدعوي بين الناس، وخاصَّةً في المقاهي، وبين عمال قناة السويس، وفي أبريل (١٩٢٨هـ)، أسَّس النواة الأولى لجماعته (الإخوان)، وفي عام (١٩٣٢م) انتقل حسن البنا إلى القاهرة، وانتقلت قيادة الجماعة معه إليها؛ من مؤلفاته: (مذكرات الدعوة والداعية، وقضيتنا، والسلام في الإسلام)، تُوفي عام (١٩٤٩م) بعدما تصدَّى له ثلاثة أشخاصٍ، فأطلقوا عليه النار. انظر: الأعلام، الزركلي، (٢/ ١٨٣).

(٢) انظر: الفكر السياسي الإسلامي المعاصر، أحمد عنايت، (ص:١٧٦)، وانظر: الطريق إلى جماعة المسلمين، حسين جابر، (ص:٢٤).

(٣) نسبةً إلى إحدى الطرق الصوفية المبتدِعة، المنسوبة إلى حسنين الحصافي، والتي نشأت ببلدة كفر الحصافة في مصر؛ وهي إحدى الطرق التي سلكها حسن البنا، كما ذكر ذلك عن نفسه. انظر: مذكرات الدعوة والداعية، حسن البنا، (ص: ٢٣- ٢٨).

(٤) انظر: مذكرات الدعوة والداعية، حسن البنا، (ص: ١٩).

(٥) هم: حافظ عبد الحميد (نجار)، أحمد الحصري (حلاق)، فؤاد إبراهيم (مكوجي)، عبد الرحمٰن حسب الله (سائق)، إسماعيل عز (بستاني)، زكي المغربي (عجلاتي). مذكرات الدعوة والداعية، (ص: ٨٤).

(٦) مذكرات الدعوة والداعية، حسن البنا، (ص: ٨٥).

(٧) كالمحمودية وشبراخيت، وأبو صوير، وبور سعيد، والسويس، والبلاح. انظر: مذكرات الدعوة والداعية، (ص: ٩٦- ١٢٨).

المبحث الأول: تعريف التفسير السياسي للإسلام وأركانه

التفسير السياسي للإسلام: «هو تفسيرٌ يجعل العقائد والعبادات وجميع شرائع الإسلام وسائلَ وأسبابًا لإقامة النظام السياسي الذي يُحقِّق العدل الماديَّ والسعادة الدنيوية بين البشر»[١].

ووصف وحيد الدين خان التفسير السياسي للإسلام بأنه: «يفسر الدين بتفسيرٍ جامعٍ وصورةٍ كليةٍ، تكون فيه الناحية السياسيَّة وحدةً أساسيَّةً للدِّين، لا يُعرَف هدف الرسالة النبوية بدون السياسة، ولا يُفهَم المعنى الكامل للعقائد، ولا تَظهَر أهمية الصلاة وسائر العبادات، ولا تُقطَع مراحل التقوى والإحسان، ولا يُعقَل الهدف من الإسراء والمعراج إلا بالسياسة، وجملة القول: فإنه بدون السياسة يبقى الدين كله فارغًا، وغير قابل للفهم، كأنه قد حذف منه ثلاثةَ أرباعه»[٢].

وأما الأركان التي قام عليها التفسير السياسي المنحرِف للإسلام، والذي بجملتِه يُشكِّل فكر جماعة الإخوان:

١-أنَّ الغاية الكبرى من الدِّين هي الحكم وسيادة الدنيا.

٢- أنَّ الخصومة بين الأنبياء وأُممهم في السلطة، ولمن تكون الحاكميَّة.

٣-أنَّ شرائعَ الدين الإسلامي وعباداته مجرَّدُ وسائلَ لغايةٍ عظمى، وهي سيادة الدنيا؛ فالمباني الأربعة إنما شُرِعتْ لتهيئة أهل القبلة للوثوب على الحكم والسلطة، وإعادة مجْد الإسلام المفقود المتمثِّل في الخلافة.

ومن باب الأمانة والإنصاف: لم أجدْ في رسائل وكتابات حسن البنَّا أيَّ ذكر للنقطة الثانية قليلًا أو كثيرًا لا من قريب ولا بعيد؛ بخلاف الأُولَى والثالثة، فحسن البنا هو المؤسِّس لها وأوَّل من نادى بها بإشارات غير صريحة؛ والذي صاغها وهذَّبها وانتصر لها بجلاءٍ هو: أبو الأعلى المودودي، ثم أتى سيد قطب وركَّز عليها في سائر مؤلَّفاته.

(١) مقدمة في تفسير الإسلام، عبد الحق التركماني، (ص: ٧٣).

(٢) التفسير السياسي للدين، وحيد الدين خان، (ص: ١٢٨).

المبحث الثاني: التفسير السياسي للإسلام عند كبار رموز جماعة الإخوان، وتحته ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: التفسير السياسي للإسلام عند حسن البنَّا

عند القراءة في رسائل وكتابات حسن البنَّا، وبالرجوع إلى محاضراته؛ نَجِدُ أن شرارة بداية التفسير السياسي للإسلام كانت منه؛ حيث قال في رسالة المؤتمر الخامس للإخوان: «الإسلام الذي يؤمن به الإخوان المسلمون يجعل الحكومة ركنًا من أركانه»[(١)]!

وقال في مقال له بعنوان (الإسلام سياسة وحكم)، ما نصُّه: «أستطيع أن أجهر في صراحةٍ بأنَّ المسلم لا يتمُّ إسلامُه إلا إذا كان سياسيًّا؛ بعيد النظر في شؤون أمته، مهتمًّا بها، غيورًا عليها، وإنَّ على كلِّ جمعيةٍ إسلاميَّةٍ أن تَضَعَ في رأس برامجها الاهتمام بشؤون أمَّتِها السياسية؛ وإلا كانت تحتاج إلى فَهْم معنى الإسلام»![(٢)]

رسَّخ حسن البنَّا لأتباعِه ومن أتى بعدَهم ووافَقَهم أصولَ التفسير السياسي المنحرف للإسلام، بأنَّ غاية الدين الأساسية هي (إقامة الدولة)؛ حيث قال تحت عنوان (دعوتنا دعوة البعث والإنقاذ): «وهكذا أيها الإخوان، أراد الله أن نَرِثَ هذه التَّرِكة المثْقَلة بالتَّبِعات، وأن يشرق نور دعوتكم في ثنايا هذا الظلام، وأن يهيئكم الله لإعلاء كلمتِه وإظهار شريعتِه وإقامة دولته من جديدٍ»[(٣)].

وتولَّد من هذا الأصل: القولُ بأن شرائع الدين الإسلامي وعباداتِه مجرَّدُ وسائلَ تدريبيةٍ للغاية الأساسيَّة من الدين، وهي الحكم وسيادة الدنيا.

يقول حسن البنا: «الغاية أصلٌ، والأعمال فروعٌ لها، الغايةُ هي التي تدفع إلى الطريق»[(٤)].

وقد صرَّح بالغاية التي من أجْلها شُرعت العبادات، وكانت لها مجرَّدَ وسائلَ -حسب تعبيره- فقال: «ولما كانت الغاية في أمَّتنا غامضةً مضطربةً، كان لا بدَّ من أنْ نُوضِّح ونُحدِّد، وأظنُّنا وصلْنا إلى كثيرٍ من التوضيح، واتفقنا على أنَّ مُهمَّتَنا سيادة الدنيا»[(٥)]

وبيِّن الرابطة بين التكاليف الشرعية والتكاليف الاجتماعية، فقال: «أَوْضَحَ الحقُّ تبارك وتعالى للناس بعد ذلك الرابطةَ بين التكاليف من صلاةٍ وصومٍ بالتكاليف الاجتماعية، وأنَّ الأُولى وسيلةٌ للثانية، وأنَّ العقيدة الصحيحة أساسُهما معًا»[(٦)].

---

(١) رسائل حسن البنا، (ص: ٤٧).

(٢) مقال بعنوان: الإسلام سياسة وحكم، حسن البنا، بتاريخ: (١٦/ ٤/ ١٩٤٦م).

(٣) رسائل حسن البنا، (ص: ٧٩).

(٤) المصدر السابق، (ص: ٤٤).

(٥) رسائل حسن البنا، (ص: ٤٤).

(٦) رسائل حسن البنا، (ص: ٥١).

وقال أيضًا: «وهذه الصَّلاة، وتلك الزكاة والحج والصوم، إنما هي كلُّها تشريعاتٌ اجتماعيةٌ، يُرَاد بها توثيقُ الوحدة، وجمعُ الكلمة، وإزالةُ الفوارق، وكشفُ الحُجُب والموانع بين بني الإنسان، ومن هنا كانت دعوتنا ذات مراحل، نرجو أن تتحقَّق تباعًا، وأن نَصِلَ بعدها إلى الغاية، نقطعها جميعًا»(١).

وظاهر كلامِه أنَّ العبادات المحْضَة ليست مقصودةً لذاتها؛ إنما هي وسيلةٌ للتكاليف الاجتماعية؛ فالمباني الأربعة حسبَ زعمِه؛ إنما شُرِعتْ لتهيئةِ أهل القبلة للوثوب على الحكم والسُّلطة.

والجواب على هذه الأقوال من عدَّة وجوه:

الوجه الأول: يلاحظ أنه لم يتطرَّق لكونِ أنَّ العبادات مقصودةٌ لذاتِها؛ وعليها يدور الثوابُ والعقابُ وسببُ محبَّةِ الله، بل جعل العباداتِ المحضةَ وسيلةً للغاية الكبرى وهي (سيادة الدنيا).

الوجه الثاني: أنَّ كلَّ مسلمٍ يفرح بسيادة المسلمين الدنيا، ويكون الحكم للواحد القهار، وتكون كلمة الله هي العليا؛ لكن لا يكون ذلك عن طريق تفسيرٍ سياسيٍّ منحرفٍ للإسلام؛ وتهوينٍ من مباني الإسلام؛ بل وصل الأمر للتهوين من أعظمِ ذنبٍ عُصِي اللهُ بهِ في الأرض؛ وهو الشرك -كما سيأتي-، وتسميته بصورةٍ ساذجةٍ، ممَّن جاء بعده وتشرَّب هذا التفسير المنحرف.

الوجه الثالث: مما لا شكَّ فيه، أنَّ من أهداف العبادات ومقاصدها -وخاصةً مباني الإسلام الأربعة- توثيقَ الوحدةِ، وجمْعَ الكلمةِ، وتعميقَ الروابط بين المسلمين؛ جميعُهم يتَّجِهون لقبلةٍ واحدةٍ، ويصومون بشهرٍ معيَّنٍ واحدٍ، وإخراج الغنيِّ زكاتَه بطيب نفس للفقير من أسباب جمع الكلمة، وتأليف القلوب، لكنها ليست وسيلةً لغايةٍ، بل العبادات غايةُ الغايات ومطلوبةٌ ومقصودةٌ لذاتِها للربِّ عز وجلَّ، وكون أن يقال: إنها مقصودةٌ ومرادةٌ للربِّ عز وجل، لا يعني حاجتَه عز وجل لتلك العبادات، فهو الغني وعباده الفقراء، كما قال سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ ۖ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾ [فاطر: ١٥].

فالقول بأن العبادات من أوَّلِها لآخرِها فُرِضتْ لأجل أن يَسُود المسلمون الدنيا؛ فهذا تفريغٌ للعبادة من لُبِّها وجوهرِها!

(١) المصدر السابق، (ص: ١٣١- ١٣٣).

يقول شيخ الإسلام -رحمه الله-: «العبادة اسمٌ جامعٌ لكلِّ ما يُحبُّه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الباطنة والظاهرة؛ فالصلاة، والزكاة، والصيام، والحج، وصدق الحديث، وأداء الأمانة، وبر الوالدين، وصلة الأرحام، والوفاء بالعهود، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، والجهاد للكفار والمنافقين، والإحسان إلى الجار واليتيم والمسكين والمملوك من الآدميين والبهائم، والدعاء، والذكر، والقراءة، وأمثال ذلك من العبادة، وكذلك حب الله ورسوله، وخشية الله والإنابة إليه، وإخلاص الدين له، والصبر لحكمه، والشكر لنعمه، والرضاء بقضائه، والتوكل عليه، والرجاء لرحمته، والخوف لعذابه وأمثال ذلك - هي من العبادات لله»[1].

وقال الشيخ السّعْدي-رحمه الله-: «العبادة والعبودية لله اسمٌ جامعٌ لكلِّ ما يُحبُّه الله ويرضاه من العقائد، وأعمال القلوب، وأعمال الجوارح؛ فكلُّ ما يُقرِّب إلى الله من الأفعال وتَرْك المعاصي فهو عبادةٌ؛ ولهذا كان تارك المعصية لله متعبِّدًا متقرِّبًا إلى ربِّه بذلك» [2].

فكيف تكون كلُّ هذه العبادات الاعتقادية والقولية والفعلية؛ من توحيدٍ، وصلاةٍ، وذكْرٍ، ومحبَّةٍ لله ولرسوله، وخوفٍ، وخشيةٍ، وإنابةٍ، وغيرها، لم يشرعها الله تعالى إلا لغايةٍ واحدةٍ؛ وهي (سيادة الدنيا)؟!

بل الذي تدلُّ عليه أدلة الكتاب والسنة أن الغاية من العبادة: هي ذكر الله، والثناء عليه، وشكره، وتسبيحه، وتعظيمه طلبًا لمرضاته، مما يؤدي إلى البعد عن عمل المعاصي والآثام والإكثار من فعْل الخيرات، وبهذا تكون العبادة سببًا رئيسيًّا لإصلاح النفوس وتهذيب الأخلاق، قال تعالى: ﴿إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي﴾، [طه: ١٤].

المطلب الثاني: التفسير السياسي للإسلام عند أبي الأعلى المودودي

تبنَّى المودودي[3] إشارات التفسير السياسي للإسلام التي وردت في رسائل وكتابات حسن البنا، وقام بتهذيبها وزاد فيها؛ بل كشف عن تفسيره للإسلام بفهم خاص لم يسبقه أحدٌ، وعند التدقيق والنَّظَر في أدبيَّات جماعة الإخوان المبثوثة في كُتُبِهم ومجلَّاتهم

(١) العبودية، ابن تيمية، (ص: ١).

(٢) تيسير الكريم الرحمن، الشيخ عبد الرحمن بن سعدي، (٢/ ٣٦١).

(٣) هو أبو الأعلى بن أحمد حسن المودودي، وُلِد في مدينة جيلي ولاية حيدر أباد، في يوم (١٢ رجب ١٣٢١هـ) من أسرةٍ مسلمةٍ اشتهرتْ بالتدين والثقافة، لم يُعلِّمْه أبوه في المدارس الإنجليزية واكتفى بتعليمه في البيت، بدأ عمله في الصحافة، وأصدر مجلة (ترجمان القرآن) عام (١٣٥١هـ)، ثم أسس (الجماعة الإسلامية في الهند) عام (١٣٦٠هـ)، وكان زعيمها ثلاثين عامًا، ثم اعتزل الإمارة لأسبابٍ صحيةٍ، وتفرَّغ للكتابة والتأليف، تأثر المودودي بحسن البنا وفكرة العمل لإعادة الخلافة الإسلامية، وألَّف كتاب «الخلافة والملْك» للتنظير لتلك الفكرة، كما قام بتضخيم مسائل الحاكمية، والقول بجاهلية القرن العشرين، وثورة الشعوب ضدَّ حكامها في سائر مؤلَّفاتِه، أثَّرت أدبيَّات المودودي في الكثير من مُنظِّري الجماعات وبخاصةٍ جماعة الإخوان المسلمين؛ كسيد قطب، وأخيه محمد قطب، وتنظيمي القاعدة وداعش وغيرهم، له مؤلفاتٌ عديدةٌ؛ ومن أشهرها: (الجهاد في الإسلام، والخلافة والملْك، والحكومة الإسلامية، والإسلام والجاهلية). تُوفي: (١ ذو القعدة ١٣٩٩هـ). انظر: المعجم الجامع في تراجم العلماء وطلبة العلم المعاصرين، (ص: ٣٠). وانظر: الموسوعة التاريخية، (١٠ / ٢٨٢).

ومنشوراتهم قبل المودودي يَجِدُها لم تكن كما هي عليه الآن، وخاصَّةً بعد تأثُّر سيد قطب بكتابات ورسائل أبي الأعلى المودودي وتفسيره السياسي للإسلام.

ويُعَدُّ المودودي هو الأب الرُّوحي للتفسير السياسي المنحرف للإسلام، وقامت (الجماعة الإسلامية) التي أسَّسها في الهند وباكستان على فكْره، وتمكَّن من خلال كتاباتِه ومحاضراتِه أن ينشر نظريته في تفسيره للإسلام في أرجاء العالم الإسلامي كله، وكلُّ من جاء بعده من روَّاد هذا الفكر أخذ عنه وشربَ من كأسه.

وتفرَّدتْ كتابات المودودي عن المؤسِّس الأول حسن البنَّا بعدَّة أمور؛ منها:

أ- أنه صرَّح بهذا التفسير بأصرح عبارة، ولم يتوارَ خلف عبارات فضفاضة أو جُمل يمكن تأويلها.

ب- أنه شَرَع في تأليف رسائلَ خاصَّة لهذا التفسير، وانتصر له.

ت- قيام تفسيره لمصطلحات (الإله، والرب، والحاكمية) على الخلط بين توحيد الربوبية وتوحيد الألوهية.

ث- تحريف دعوة الأنبياء والرسل؛ بأنَّ الغاية الكبرى من الدين هي الحكم وسيادة الدنيا؛ ولا يكون ذلك إلا من خلال الدعوة إلى الخروج وتغيير الحاكم بالقوَّة المسلحة، وقد عبَّر عنه بمصطلح (الانقلاب السياسي).

ج- الاضطرار إلى تحريف تفسير أدلة الوحيَين تأييدًا لما ذهب إليه، وإن لم يقصد ذلك، فاقتناعُه بهذا التفسير جعلَه يحشد الأدلة تلْوَ الأدلة للبرهنة على صحة ما ذهب إليه.

ح- تجهيل سلف الأمة في فهمهم للقرآن؛ بسبب غياب هذه الحقائق عنهم، فقال في أكثر من موضع: «وقد جاءت نصوص القرآن في ذلك من الوضوح والجلاء بحيث يتعجَّب المرء: كيف لم يُدرِك الناس هذه الحقيقة، وقصَّروا عن فهمها»(١).

وفيما يلي أقوالٌ تُؤكِّد تَبنِّي المودودي للتفسير السياسي للإسلام:

١- تفسيره للألوهية بالسُّلطة والحكم:

يقول المودودي: «خلاصة القول: إنَّ أصل الألوهيَّة وجوهرَها هو السلطة؛ سواءٌ أكان يعتقدها الناس من حيث إن حكمها على هذا العالم حكمٌ مهيمِنٌ على قوانين الطبيعة، أو من حيث إنَّ الإنسان في حياته الدنيا مُطيعٌ لأمرِها وتابعٌ لإرشادِها، وأنَّ أمْرَها في حدِّ ذاته واجبُ الطاعة والإذعان»(٢).

---

(١) المصطلحات الأربعة، (ص:٤٧).

(٢) المصطلحات الأربعة، (١/ ١٥).

وقال أيضًا: «فخلاصة القول: إنَّ أصل الألوهيَّة وجوهرها هو السلطة، ففي جميع هـذه الآيات من أوَّلها إلى آخرها لا تَجِدُ إلا فكرةً رئيسيةً واحدةً، ألَا وهي أنَّ كلًّا من الألوهيـة والسلطة تستلزم الأخرى»(١).

فالردُّ على هذه الأقوال كالآتي:

الوجه الأول: أنه فسَّر الحاكمية بتفسيرٍ سياسيٍّ وقاصرٍ في نفس الوقـت، ومـضمونُه أنَّ الحاكميَّة هي ما يُقابِل مصطلح السلطة في الفكر السياسي الحديث والمعاصـر؛ فـاختزل الدِّين في الحاكمية، واختزل الحاكمية في بُعدِها السياسي فقـط، وهـذا غلـطٌ؛ فمفهـوم الحاكميَّة في القرآن جاء في دلالاتٍ مُتعدِّدة، والحاكمية المرتبطة بالسياسة هي واحدةٌ من معاني الحاكمية التي وردت في القرآن؛ فمن دلالات الحاكمية في القرآن دلالةٌ عقَدِيـةٌ؛ حيث قال سبحانه تعالى: ﴿ إِنِ الْحُكْمُ إِلاَّ لِلّه أَمَرَ أَلاَّ تَعْبُدُواْ إِلاَّ إِيَّاهُ ﴾، [يوسف: ٤٠].

وصفة الحاكمية داخلةٌ في توحيد الربوبية من جهة الحكم، وفي توحيد الألوهيَّة من جهـة التنفيذ(٢)؛ وتشمل الدنيا والآخرة، فمن حاكميَّة الله في الدُّنيا:

- وجوب تحكيم شريعة الله، قال تعالى: ﴿ومن لم يحكـم بمـا أنـزل الله فأولئـك هـم الظالمون﴾، [المائدة: ٤٥].

- الأمر بعبوديته في فعْل الواجبات وترْك المحرمات؛ قال تعالى: ﴿ إِنِ الْحُكْـمُ إِلاَّ لِلّـه أَمَرَ أَلاَّ تَعْبُدُواْ إِلاَّ إِيَّاهُ﴾، [يوسف: ٤٠].

- تحكُّم الربِّ عزَّ وجلَّ في الكون كله، كلُّ ذلك وَفْقَ نواميسَ وقوانينَ لا تتبدَّل، كذلك ما يُقدِّره في مخلوقاته، يُجرِي عليهم مقاديره، وهو ما يُسمَّى عند علماء الشريعة بـ(الحكـم الكوني).

أما حاكمية الله في الآخرة؛ فأهمُّها الفصلُ بين العباد بالعدل والفضل، قال تعالى: ﴿ قَـالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُلٌّ فِيهَا إِنَّ اللَّهَ قَدْ حَكَمَ بَيْنَ الْعِبَادِ﴾، [غافر: ٤٨]؛ فيعز أوليـاءه يـوم القيامة ويُكرِّمهم بالجنة، فيظهر فضْلَهم أمام الخلائق، ويُهِين أعداءه أمام الخلائـق كلِّهـا، فيَظهَر عدلُه سبحانه.

هذه بعض دلالات الحاكمية المتعدِّدة، واختزال هذا المفهوم في إقامة الحكومـة الألهيـة، والسعي وراء السلطة والحكم فيه إجحافٌ كبيرٌ، واختزالُ جزءٍ ليس بالسهل من الشريعة في نطاقٍ ضيِّقٍ ومحدودٍ.

(١) المصدر السابق، (ص: ٢٣).

(٢) ذكر الشيخ ابن عثيمين -رحمه الله- أنَّ صفة الحاكمية داخلةٌ في توحيد الربوبية من جهة الحكم، وفي توحيد الألوهية من جهة التنفيذ. انظر: فتاوى على الطريق، (ص: ٣٣، ٣٤).

وقد تنبَّه الندوي –رفيق درب المودودي– لخطورة هذا المفهوم؛ وقام بالردِّ عليه رُغْم التأخُّر في ذلك والحاجة الملِحَّة، وبيَّن سبب هذا الردِّ والنقد؛ وهو التخوُّف على فئة من الشَّباب المتأثِّرين بطرح المودودي الذين يُخشى عليهم أن يُقصروا مصادرهم في فهم الدين على كتابات المودودي، فقال: «ولم يُقدِم المؤلف –يقصد نفسه– إلى هذا البحث إلا حين عرَفَ وعاشَرَ كثيرًا من الذين تخرَّجوا من المدرسة الفكريَّة التي تقوم على كتابات الأستاذ المودودي وحدَها، وتعتمد على فهْمِه للدِّين، وتفسيره له، ورضعوا بلبانها، ونشؤوا في أحضانها، لا يَدِينون في ثقافتهم الدينية وفهمهم لحقيقة الدين لمدرسةٍ دينيةٍ أخرى، أو لمكتبةٍ إسلاميَّةٍ أخرى، وخاف أن تنشأ طبقةٌ أو مجتمعٌ فيه عددٌ كبيرٌ من الشباب العاملِين لمجد الإسلام المخلِصين، في خدمة الإسلام والمسلمين، على منهج يختلف عن المنهج الإسلامي الأول في الرُّوح والدوافع، والنفسية، والأهداف والغايات، والمُثُل والقِيَم، ويضعف ما جاهد الرسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه من إخلاص الدين لله والعمل للآخرة، ويتحوَّل هذا الكفاح إلى مجرَّد عملية تنظيمٍ جماعيٍّ، أو محاولة الحصول على الحكم والسلطان للمسلمين، وقد يكون تحوُّلًا لا رجعةَ بعدَه إلى الأصل والمصدر؛ فأقبلنا مُضطرِّين –علِم الله– على التنبيه على هذا الخطر، ولو كان غامضًا أو بعيدًا، فالحبُّ يبعث على الإشفاق والنصح يدفع إلى الإنذار»(١).

الوجه الثاني: تهوينُه من مسائل الألوهية والعبادة لله تعالى؛ يقول الندوي في حصْرِ مفهوم الحاكميَّة في السلطة، تحت عنوان (هل الصلة بين العبد والربِّ هي صلة الحاكم والمحكوم فحسبُ؟): «الواقع أنَّ صلة الخالق والمخلوق، والعبد والمعبود، هي أشملُ وأوسع وأعمق وأدقُّ بكثيرٍ من صلة الحاكم والمحكوم، والآمر والمأمور، والسلطان والرَّعيَّة، وقد لهج القرآن الكريم بذِكْر أسماء الله وصفاته في بسطٍ وتفصيلٍ شيِّقٍ جميلٍ لا يدلَّان على أنَّ المطلوب من العبد هو الإيمان بمجرَّد حاكميَّته المطلقة والإذعان لسلطته العليا، قال تعالى: ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ ۖ هُوَ الرَّحْمَٰنُ الرَّحِيمُ؛ هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ ۚ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾، [الحشر: ٢٢، ٢٣]؛ إنَّ هذه الأسماء والصفات والأفعال الإلهية التي زخر القرآن الكريم بها تتطلَّب أن يحبَّ العبد آلهه وربَّه بقلبِه وقالَبِه، ويتفانى بطلب رضائه، وأن يكون خائفًا منه متضرعًا إليه ملتجئًا إليه، والذين حصروا صفات الله وحقوقَه في حقِّ الحاكمية والسُّلطة العليا وحدَه ورأَوه أصل الحقوق

---

(١) التفسير السياسي للإسلام، الندوي، (ص: ٢٠٧– ٢١٠).

الألوهية وأولى المطالب الربَّانية -أخاف أن يكون قد صدق عليهم قولُ الربِّ تبارك وتعالى: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ﴾، [الزمر: ٦٧](١).

وقد نقدَ الندويُّ هذا الكلام بتعريف شيخ الإسلام للألوهية والعبادة؛ فقال: «إنَّ العبادة المأمور بها تتضمَّن معنى الذلِّ ومعنى الحبِّ، فهي تتضمن غاية الذلِّ لله تعالى بغاية المحبَّة له، ومن خضع لإنسانٍ مع بغضِه له لا يكون عابدًا له، ولو أحبَّ شيئًا ولم يخضعْ له لم يكن عابدًا له، كما قد يحبُّ الرجل ولدَه وصديقه، ولهذا لا يكفي أحدُهما في عبادة الله تعالى، بل يجب أن يكون الله أحبَّ إلى العبد من كلِّ شيء، وأن يكون الله أعظمَ عنده من كلِّ شيء، والإله هو الذي يَألَهُه القلبُ بكمال الحبِّ، والتعظيم، والإجلال، والإكرام، والخوف، والرجاء، ونحو ذلك، وهذه العبادة التي يحبُّها الله ويرضاها، وبها وَصَفَ المصطَفين من عباده، وبها بَعَثَ رُسلَه»(٢).

يقول الندويُّ مُعلِّقًا على كلام شيخ الإسلام: «تدلُّ العبارة أنَّ الصلة بين العبد والمعبود ليستْ هي صلة الحاكم والمحكوم وحدَها؛ بل الأُولى أوسعُ من الثانية بدرجاتٍ كثيرةٍ، وأجمع وأشمل، فهي تشمل المعرفة، والإنابة، والمحبَّة، والإخلاص، والذِّكْر، وما إلى ذلك، على حين يكفي للحاكم مُجرَّد الخضوع والتذلُّل(٣)».

ثم قال مُبيِّنًا الفرقَ بين كلام شيخ الإسلام وكلام المودودي في معنى الألوهية: «ما أعظمَ الفرْقَ وأعمقَه بين تعريف الإله هذا -يقصد تعريف شيخ الإسلام- وبين التعريف الذي يجعل الحاكميَّة والسلطة العليا -عند المودودي- ملاك الأمر في باب الألوهيَّة»(٤).

الوجه الثالث: أنَّ جعْلَ السلطة أصلًا من أصول الدين يعني تحويلَها من فروع الدين إلى أصلٍ من أصوله، وهو ما يتَّضح في تقرير المودودي أعلاه، بأنَّ الغاية إقامةُ الحكومة الإلهية، وهو ما يُخالِف مذهبَ أهل السُّنَّة في الإمامة القائم؛ على أنَّ الإمامة بمعنى السلطة هي فرعٌ من فروع الدين، وليست أصلًا من أصولِه، يقول الآمديُّ: «واعلم أنَّ الكلام في الإمامة ليس من أصول الديانات»(٥).

ويقول الغزالي: «اعلم أنَّ النظر في الإمامة أيضًا ليس من المهمَّات، وليس أيضًا من فنِّ المعقولات، بل من الفقهيَّات»(٦).

(١) التفسير السياسي للإسلام، أبو الحسن الندوي، (ص: ٢٦٢، ٢٦٣).
(٢) العبودية، ابن تيمية، (ص: ٦- ٩).
(٣) التفسير السياسي للإسلام، أبو الحسن الندوي، (ص: ٨٣).
(٤) المصدر السابق، (ص: ٨٧).
(٥) غاية المرام في علم الكلام، الآمدي، (ص: ٣٦٣).
(٦) الاقتصاد في الاعتقاد، الغزالي، (ص: ٢٣٤).

كما أنَّ هذا الإطلاق البدعي لمفهوم الإمامةِ بمعنى (السلطة)، وتحويلها من فرعٍ من فروع الدِّين إلى أصلٍ من أصولِه، له جذورُه في المذهب الرافضي[(١)].

ولهذا نرى التوافق والانسجام الكبير بين الرافضة وجماعة الإخوان؛ خاصةً فيما يتعلق في السلطة والحكم، واستمرَّ هذا الودُّ المتبادَلُ من ساعة نشأة دولة الخميني إلى المرشد الحالي.

يقول المودودي في ثنائه على ثورة الخميني: «إنَّ ثورة الخميني ثورةٌ إسلاميَّةٌ، والقائمون عليها هم جماعةٌ إسلاميةٌ، وشباب تلقَّوا التربية الإسلامية في الحركات الإسلامية، وعلى جميع المسلمين عامةً والحركات الإسلامية خاصةً أن تؤيِّد هذه الثورة كلَّ التأييد، وتتعاون معها في جميع المجالات»[(٢)].

وأصدر الإخوان كُتَيبًا بعنوان: (الخميني الحل الإسلامي والبديل)، تأليف: فتحي عبد العزيز؛ يصف الثورة الإيرانية والخميني بأنه (فخر المسلمين)!

يقول الخميني: «لقد جاء الأنبياء جميعًا من أجل إرساء قواعد العدالة في العالم، لكنَّهم لم ينجحوا، حتى محمد خاتم الأنبياء، الذي جاء لإصلاح البشرية وتنفيذ العدالة وتربية البشر، لم ينجح في ذلك، وإن الشخص الذي سينجح في ذلك ويُرسي قواعد العدالة في جميع أنحاء العالم في جميع مراتب إنسانية الإنسان وتقويم الانحرافات –هو المهدي المنتظر»[(٣)].

فكيف يطلب المودودي النُّصرة والتكاتُف والتعاون مع شخصٍ يرى أن دعوة الأنبياء عليه السلام جميعًا حتى محمد خاتم الأنبياء لم تنجح، وأنَّ المهدي المنتظر هو الوحيد الذي سينجح في ذلك؟! كيف يُقال لمن هذا كلامُه بأنه (فخر المسلمين)؟!

٢- قوله بأن جميع شرائع الدين بما فيها مباني الإسلام الأربعة وسائلُ لغايةٍ كبرى؛ وهي القفز على الحكم والوثوب على السلطة.

يقول المودودي، وهو يقرِّر بأن العبادات ليس مقصودةً لذاتِها: «إنكم تظنُّون أن الوقوف متوجِّهًا إلى القبلة، واضعًا اليدَ اليمنى على اليسرى، والركوع معتمدًا على الركبة، والسجود على الأرض، وقراءة الكلمات المعدودة، وهذه الأفعال والحركات هي العبادة في ذاتِها، وتظنُّون أنَّ الصوم من أول رمضان إلى أول شوال، والجوع والعطش من الصباح إلى المساء هو العبادة، وتظنُّون أنَّ الطواف حول الكعبة عبادةٌ!

---

(١) فنَّد شيخ الإسلام –رحمه الله– مسألة تضخيم مسائل الإمامة في ردِّه على الرافضة، انظر: منهاج السنة، (١/ ٣٣).

(٢) مجلة الدعوة، العدد: (١٩) في أغسطس ١٩٧٩م.

(٣) خطابٌ ألقاه الخميني في ذكرى مولد المهدي المنتظر، وقد ألقى الخطاب في (١٥ شعبان ١٤٠٠هـ)، ونُقِل عبر إذاعة طهران، وتناقَلَتْه بعض وكالات الأنباء والصُّحف؛ ومنها: صحيفة الرأي العام الكويتية في عددِها الصادر بتاريخ: (٢١/ ٦/ ١٩٨٠ م).

وبالجملة، فإنكم قد سَمَّيتم ظواهر بعض الأعمال عبادةً، وعندما يقوم شخصٌ بأداء هذه الأفعال بأشكالها وصُوَرِها تظنون أنه قد عَبَدَ اللهَ، والحقّ أنَّ العبادة التي خلقكم الله من أجلها، والتي أمركم بأدائها، هي شيء آخر، لو سألتم عن الصلاة والصيام ما هما؟ لكان الجواب: هو أنَّ هذه العبادات فَرَضها الله تعالى؛ الغرض منها الإعداد للعبادة الكبرى التي يجب العمل بها في حياتِكم في كلِّ وقتٍ وحالٍ»(١).

وهذا الزَّعم صار عقيدةً راسخةً في كتاباتِه، فقال: «الغاية التي من أجلِها فَرَضَ الإسلام عبادات (الصلاة، والصوم، والزكاة، والحج)، لا يعني أنها هي العبادة لا غير؛ بل معنى ذلك أنها تُعِدُّ الإنسان لتلك العبادة، فكأنها مقرَّراتٌ تدريبيةٌ لازمةٌ لها»(٢).

ويقول -باختلافٍ بسيط عن عبارته السابقة- مؤكِّدًا اقتناعه بهذا التفسير: «هذا هو الغرض الذي من أجْلِه فُرِضَت (الصلاة، والصوم، والزكاة، والحج) في الإسلام، وليس معنى تسميتها بالعبادات أنها هي العبادات، بل معناه أنها تُعِدُّ الإنسان للعبادة الأصلية، وهذا يعني أنَّ (الصلاة، والصوم، والزكاة، والحج) دورةٌ تدريبيةٌ لازمةٌ لها»(٣).

وصرَّح بالغاية التي من أجلها كانت العبادات وسيلةً إليها فقال: «إنَّ العبادات الأربعَ فُرِضت لتربيتكم وإعدادكم لغايةٍ مُهِمَّةٍ وعملٍ جادٍّ؛ وهو القضاء على سيطرة الجبابرة والفراعنة، وأنَّ هذه الأركان فُرِضتْ لتؤهلنا لتحقيق هذا الهدف السامي»(٤).

ويُلاحَظُ تَقارُبُ الألفاظ بينه وبين حسن البنَّا، وتقريراتُه في أنَّ العبادات وسيلةٌ للمهمة الكبرى والغاية العظمى، وهي إقامة الحكومة الإلهية.

والردُّ على هذه الأقوال:

الوجه الأول: جعل المودودي جميع شرائع الدين بما فيها مباني الإسلام الأربعة وسائلَ لغايةٍ كبرى؛ وهي تأسيس الحكومة الإلهية، على حين ينصُّ القرآن الكريم على أنَّ الجهاد والحكومة وسيلةٌ لتعبيد الناس لربهم؛

وأن للعبادات ثمرات للعبد في العاجل والآجل؛ لا العكس بأن الغاية والثمرة هي تأسيس الحكومة الإلهية!

يقول الندوي مُفنِّدًا هذا الكلام: «إنَّ العبارة المذكورة أعلاه تدلُّ دلالةً واضحةً على أنَّ العبادات المعينة المشروعة (الصلوات الخمس) في الواقع وسائلُ إلى غايةٍ أخرى؛ هي

(١) المودودي: ما له وما عليه، محمد زكريا الكاندهلوي، (ص: ٤٥، ٤٦).
(٢) نظرة فاحصة على العبادات الإسلامية باللغة الأردية للمودودي، نقلًا عن التفسير السياسي للإسلام، وحيد خان، (ص: ١٠٣).
(٣) المودودي: ما له وما عليه، محمد زكريا الكاندهلوي، (ص: ٤٥، ٤٦).
(٤) الخطب للمودودي، نقلًا عن: التفسير السياسي للإسلام، وحيد خان، (ص: ٣٠).

طاعة وتأسيس الحكومة الإلهية، وإعادة التنظيم إلى الحياة، على حين ينصُّ القرآن الكريم على أنَّ الجهاد والحكومة وسيلةٌ، وإقامة الصلاة هي الغاية»(١).

ودلالة القرآن الكريم والسنة النبوية دلالةٌ صريحةٌ على أنَّ العبادات هي ركنُ الدِّين القويم، يُؤاخَذ عليها العبدُ ويُحاسَب يوم القيامة؛ فهذه العبادات غايةٌ في حدِّ ذاتِها ومطلوبةٌ من العبد، وجاءت الآيات صريحةً بالوعيد الشديد لمن يتهاون فيها ويتكاسل عنها، والثواب والنعيم لمن قام بها حقَّ قيامها، وكذلك السنة مليئةٌ بهذا.

أما الأمور الأخرى؛ كإقامة الحكومة الإلهية، التي عجز المودودي وغيره أن يستدلَّ على أنها غاية الدين العظمى بدليلٍ؛ من كتابٍ، أو سنَّةٍ، أو أثَرٍ من آثار سلف الأمة المعتبرين؛ لأنها من الوسائل، وفي درجةٍ ثانويةٍ من الدين.

الوجه الثاني: كيف تأتي مئات النصوص من القرآن والسنة تحثُّ على ما تُسمَّى بالوسائل عند حسن البنَّا والمودودي، وتتجاهل التنصيص على الغاية الكبرى من هذه الوسائل؛ وهي إقامة الحكومة الإلهية!

بل الحق الذي لا مِراءَ فيه: أنَّ العبادات مقصودةٌ لذاتها؛ تعبُّدًا لله تعالى، وتقرُّبًا إليه، ورجاءً لرحمتِه في الدنيا والآخرة، ولا يمكن أن تكون وسيلةً لأيِّ غرضٍ دنيويٍّ، ومقصدٍ عاجلٍ زائلٍ، وإنما المصالح الدنيوية والمكاسب المادية ثمارٌ ونتائجُ طيِّبةٌ لإقامة العبودية لله تعالى، والقرآن صريحٌ في بيانه أنَّ العبادات مقصودةٌ لذاتِها، وليست وسيلةً لغايةٍ موهومةٍ، قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾، [الذاريات: ٥٦]، وقال سبحانه: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ ۚ وَذَٰلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ﴾، [البينة: ٥]؛ فالقول بأنَّ العبادات وسائلُ تدريبيةٌ لازمةٌ تؤهِّل لتحقيق غايةِ سيادة الدنيا – هذا يُعَدُّ تفريغًا للعبادات من لُبِّها ومحتواها التي من أجلِها شُرِعتْ.

الوجه الثالث: أنَّ الشريعة تَعتبِر التمكين في الأرض وسيلةً لإقامة الدين وتنفيذِ ما أمر الله من عبوديَّات، لا العكس بأنَّ التمكين غايةٌ والعبادات وسيلةٌ!

هذا الذي صرَّح به القرآنُ بأصرحِ عبارةٍ، قال الله تعالى: ﴿الَّذِينَ إِن مَّكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنكَرِ ۗ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ﴾ [الحج: ٤١].

(١) التفسير السياسي للإسلام الندوي، (ص: ٢٩١،٢٩٠).

قال الزَّجَّاج: «هذا من صفة ناصريه، ومعنى مكناهم؛ نصرناهم على عدوِّهم حتى تمكَّنوا في البلاد»[1]، فالآية تَعتبِر التمكينَ بمفهومِه الشامل، الذي يتضمَّن السلطة والمُلْك والخلافة، وسيلةً للقيام بالعبوديَّات؛ من توحيدٍ، وصلاةٍ، وصيامٍ، وزكاةٍ، والأمر بالمعروف، والنَّهي عن المنكر، وليس العكس.

٣- تحريفه لدعوة الأنبياء والرسل:

خالف المودودي علماء التفسير من المتقدِّمين والمتأخِّرين؛ حيث جاء بأقوالٍ لم يسبقْه إليها أحدٌ، فقال عن دعوة الأنبياء عليهم السلام: «غايةُ مُهمَّةِ الأنبياء عليهم السلام في الدنيا هي الحكومة الإلهية، وتنفيذ نظام الحياة بجميع أجزائه الذي جاؤوا به من عند الله؛ من أجل ذلك حاول الأنبياء إحداث الانقلاب السياسي، فاقتصرت جهود بعضهم على تهيئة الأرض؛ كسيدنا إبراهيم عليه السلام، وقام بعضهم فعلًا بحركة الانقلاب، ولكنَّ عملَهم قد توقَّف دون أن يتحقَّق تأسيس الحكومة الإلهية؛ كسيدنا المسيح عليه السلام، وبعضهم قد وصلوا بهذه الحركة إلى منزل النجاح؛ كسيدنا موسى، وسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم»[2].

وهذه العبارة صريحةٌ في بابها من أنَّ الهدف الأسنى والغاية العظمى لدعوة الأنبياء هي الوصولُ للحكم والسلطة.

ثم ذكر للربِّ خمسةَ معانٍ، فقال: «كلمة (الرب) مشتملةٌ على جميع ما يأتي بيانُه من المعاني:

المعنى الأول: المربي الكفيل بقضاء الحاجات، والقائم بأمر التربية والتنشئة.

المعنى الثاني: الكفيل والرقيب، والمتكفِّل بالتعهد وإصلاح الحال.

المعنى الثالث: السيد الرئيس، الذي يكون في قومه كالقطبِ، يجتمعون حوله.

المعنى الرابع: السيد المطاع، والرئيس وصاحب السلطة النافذ الحكم، والمعترَف له بالعلاء والسيادة، والمالك لصلاحيات التصرُّف.

المعنى الخامس: الملك والسيد».

ثم قال: «ومن شواهد آيات القرآن، تتجلَّى معاني كلمة (الرب)؛ كالشمس ليس دونهما غمامٌ، فالآن يجمل بنا أن ننظر ماذا كانت تصوُّرات الأمم الضالة في باب الربوبية، ولماذا جاء القرآن ينقضها ويرفضها، وما الذي يدعو إليه القرآن الكريم؟ ولعلَّ من الأجدر بنا في هذا الصَّدَد أن نتناول كلَّ أمَّةٍ من الأمم الضالَّة التي ذكرها القرآنُ منفصلًا

(١) معالم التنزيل، البغوي، (ص: ٤٤٣).

(٢) نقلًا من التفسير السياسي للإسلام، الندوي، (ص: ٢٨٨، ٢٨٩).

بعضُها عن بعضٍ، فنبحث في عقائدها وأفكارها حتى يستبين الأمر ويَخلُصُ من كل لَبسٍ أو إبهامٍ»[١].

فقال في دعوة نوح عليه الصلاة والسلام: «موضوع النزاع بينهم وبين نبيِّهم نوحٍ عليه السلام: تبين لنا أنه لم يكن موضوعُ النزاع بين الجانبين إلا أمرين اثنين؛ أولهما: أنَّ نوحًا عليه السلام كان يقول لقومِه: إن الله الذي هو رب العالمين، والذي تؤمنون بأنه هو الذي قد خلقكم، وخلق هذا العالم جميعًا، وهو الذي يقضي حاجاتكم، وليس لأحدٍ من دونه أن يقضي لكم الحاجات ويكشف عنكم الضرَّ، ومن ثَمَّ يجب عليكم ألا تعبدوا إلاَّ إيَّاه، ولا تخضعوا إلا له وحدَه.

والقوم لم يكونوا يُؤمِنون بربوبية الله تعالى إلا من حيثُ إنه خالِقُهم جميعًا، ومالِكُ الأرض والسماوات، ومُدبِّرُ أمرِ هذا العالم، ولم يكونوا يقولون بأنه وحدَه هو الحقيق كذلك بأن يكون له الحكم والسلطة القاهرة في أمور الأخلاق والاجتماع والسياسة وسائر شؤون الحياة الإنسانية، وواضِع الشَّرْع ومالك الأمر والنهي، وبأنه وحدَه يجب كذلك أن يُتَّبَع، بل كانوا قد اتخذوا رؤساءهم وأحبارهم أربابًا من دون الله في جميع تلك الشؤون»[٢].

يلاحظ هنا: أنه مرَّر شرك الحاكمية في شرك قوم نوح، وسيكون هذا دأبَه في كلِّ دعوات الأنبياء ليَصِلَ إلى النتيجة التي وصل إليها؛ أنَّ الخصومة بين الأنبياء وأممِهم في الحاكمية، وأنَّ محور دعوة الأنبياء هي الوصول للسُّلطة والحكم.

وقال في قوم إبراهيم عليه الصلاة والسلام: «قد شاع خطأ بين الناس عن مَلِكِها (نمرود)، أنه كان يَكفُر بالله تعالى ويدَّعِي الألوهية؛ والحقُّ أنه كان يؤمن بوجود الله تعالى، ويعتقد بأنه خالِقُ هذا العالم ومُدبِّر أمرَه، ولم يكن يدَّعِي الربوبية إلا بالمعنى الثالث، والرابع، والخامس، وضلالهم أنهم كانوا يعتقدون أنَّ الأجرام الفلكية شريكةٌ مع الله في الربوبية بالمعنى الأول والثاني، ولذلك كانوا يشركونها بالله تعالى في الألوهية، وأما الربوبية بالمعنى الثالث والرابع والخامس؛ فكانوا قد جعلوها خاصةً لملوكِهم وجبابِرَتِهم، وقد جاءت نصوصُ القرآن في ذلك من الوضوح والجلاء بحيث يتعجَّب المرء: كيف لم يدرك الناس هذه الحقيقة وقصَّروا عن فهمِها؟

ويتَّضِح جليًّا من هذا الحوار بين النبيِّ وبين نمرود أنَّه لم يكن النزاعُ بينهما في وجود الله تعالى أو عدمه، وإنما كان في أنه من ذا الذي يعتقده إبراهيم عليه السلام ربًّا؟ كان

(١) المصطلحات الأربعة، المودودي، (ص: ٢٧).

(٢) المصطلحات الأربعة، المودودي، (ص: ٤، ٥).

نمرود من أمَّةٍ كانت تؤمن بوجودِ لله تعالى، ثم لم يكن مُصابًا بالجنون واختلال العقل حتى يقول هذا القول السخيف البيِّن الحُمْق: (إني فاطر السماوات والأرض، ومُدبِّر سير الشمس والقمر)؛ فالحقُّ أنه لم تكن دعواه أنه هو الله وربُّ السماوات والأرض، ثم أنه لم يكن يدَّعِي الربوبية لتلك المملكة بمعناها الأول والثاني، فإنه كان يعتقد بربوبية الشمس والقمر وسائر السيارات بهذين المعنيَين، بل كان يدَّعِي الربوبية لمملكتِه بالمعنى الثالث والرابع والخامس، وبعبارةٍ أخرى كانت دعواه أنه مالكُ تلك المملكة، وأنَّ جميع أهاليها عبيدٌ له، وأنَّ سلطته المركزية أساسٌ لاجتماعِهم، وأمرُه قانونُ حياتِهم»[1].

وقال: «فالنزاع لم يكن في أنه: مَن ربُّ السماوات والأرض؟ ومن بيده ملكوت كلِّ شيء؟ بل كان جداله في: من هو مالك رقاب الناس -والذين منهم في بابل خاصة-؟ فلم يكن من دعواه أنه هو الله بل كان يقول: إني ربُّ هذه البلاد وأهلِها، ولم يقُلْ بذلك إلا لأنه كان مالكًا لرقاب الناس، آخذًا زمام المُلْكِ بيدِه، يتصرَّف فيه كيف يشاء، ويسوق الشعب بعصا سلطانه»[2].

وكلامه هنا واضِحٌ في أنَّ النمرود لم يدَّعِ الربوبية؛ بل كان يدَّعِي أنَّ له الحقَّ في التشريع ووضْعِ القوانين!

وقال في قوم نبي الله لوط عليه السلام: «إنَّ الذي كانوا يَأبُونه ولا يَقبَلُونه فهو الاعتقاد بأنَّ الله هو الربُّ بالمعنى الثالث، والرابع، والخامس، والإذعان لسلطة النبيِّ من حيث كونُه نائبًا من عند الله أمينًا، ذلك بأنهم كانوا يبتغون أنْ يكونوا أحرارًا مُطلَقِي الحرية، يتَّبِعون ما يشاؤون من أهوائهم ورغباتهم، وتلك كانت جريمتَهم الكبيرةَ، التي ذاقوا من جرَّائها أليمَ العذاب.

فيتبيَّن أنَّ جريمتهم الحقيقية لم تكن إنكارَ ألوهية الله تعالى وربوبيتِه، بل كانت جريمتُهم أنهم على إيمانهم بالله تعالى إلهًا وربًّا فيما فوق العالم الطبيعي، كانوا يَأبُون أن يطيعوه ويتبعوا قانونه في شؤونه الخلقية والمدنية والاجتماعية، يمتنعون من أن يهتدوا بهدْيِ نبيِّه لوطٍ عليه السلام»[3].

وهنا مرَّر نفس الشرك السابق (شرك الحاكمية) بكلامٍ صريحٍ.

وقال في قصة فرعون ومن معه وكفْرِهم: «قد شاع عنهم في الناس من الأخطاء والأكاذيب أكثر مما شاع فيهم عن نمرود وقومه؛ فالظنُّ الشائع أنَّ فرعون لم يكن مُنكِرًا

(١) المصدر السابق، (ص: ٤٧).
(٢) نظرية الإسلام السياسية، المودودي، (ص: ١٥- ١٧).
(٣) نظرية الإسلام السياسية، المودودي، (ص: ١٥- ١٧).

لوجود الله تعالى فحسبُ، بل كان يدَّعِي الألوهية لنفسه أيضًا، ومعناه: أنْ قد بلغت منه السفاهةُ أنه كان يُجاهِرُ على رؤوس الناس بدعوى أنه فاطر السماوات والأرض، وكانت أمَّتُه من البُلْه والحماقة أنها كانت تؤمِن بدعواه تلك؛ والحقُّ الواقعُ الذي يشهد به القرآنُ والتاريخ هو أنَّ فرعون لم يكن يختلف ضلالُه في باب الألوهية والربوبية عن ضلال نمرود، ولا كان يختلف ضلال آله عن ضلال قوم نمرود؛ فيتجلَّى لنا أنَّ كلًّا من فرعون وآله كانوا يُشرِكون بالله تعالى في المعنى الأول والثاني لكلمة (الرب)، ويجعلون معه شركاء من الأصنام ويعبدونها؛ ولم تكن دعوى فرعون الأصليَّة الغالبة المتصرِّفة في نظام السنن الطبيعية، بل بالألوهية السياسية! فكان يَزعُم أنه الربُّ الأعلى لأرض مصر ومن فيها بالمعنى الثالث، والرابع، والخامس، لكلمة (الرَّب)، ويقول: إني أنا مالك القطر المصري وما فيه من الغنى والثروة، وأنا الحقيق بالحاكمية المطلَقة فيه، وشخصيتي المركزية هي الأساس لمدينة مصر واجتماعها، وإذن لا يجرينَّ فيها إلَّا شريعتي وقانوني»[1].

وهنا أكَّد نفس الفكرة والهدف، وأنَّ فرعون لم يدَّعِ لنفسه الربوبية؛ بل يدَّعِي استحقاق تحكيم قوانينه وشريعته!

وممَّا قاله: «فهذه الألوهية التي ادَّعاها فرعون ونمرود، ليست بقاصرةٍ عليهما، بل نجد الملوك في كلِّ أرضٍ، وفي كلِّ زمانٍ يَنتَحِلُون تلك الألوهية ويدَّعُونها؛ وما زال الناس في العصور الغابرة سائرين على هذه الخطة، وكذلك حالهم اليوم في معظم أقطار العالم[2].

ولم تَسلَم منه دعوةُ خاتم الرسل نبيِّنا محمدٍ عليه أفضل الصلاة والسلام، فقال فيها:

«ويتبين لنا أنَّ المشركين العرب لم يكونوا قائلين بوجود الله تعالى فحسبُ، بل كانوا يعتقدونه مع ذلك خالقَ هذا العالم كلِّه –حتى آلهتهم– ومالِكَه وربَّه الأعلى، وكانوا يُذعِنون له بالألوهية والربوبية، وكان الله هو الجناب الأعلى الأرفع الذي كانوا يَدعُونه ويبتهلون إليه في مآل الأمر عندما يَمسُّهم الضرُّ أو تُصيبُهم المصائب، ثم كانوا لا يمتنعون عن عبادته والخضوع له؛ وحَوَتْ عقائدُهم وأعمالُهم على النَّوعين من الضلال، اللَّذَين ما زالا يُلازِمان الأمم الضالة منذ القِدَم.

فكانوا بجانبٍ يُشركون بالله آلهةً وأربابًا من دونه في الألوهية والربوبية فيما فوق الطبيعة، ويعتقدون بأن الملائكة والنفوس الإنسانية المقدَّسة والسيارات السماوية؛ كل

(١) المصطلحات الأربعة، المودودي، (ص: ٤٦).

(٢) نظرية الإسلام السياسية، المودودي، (ص: ١٥ – ١٧).

أولئك دخيلٌ بوجهٍ من الوجوه في صلاحيات الحكم القائم فوق نظـام العلـل والأسـباب؛ ولذلك لم يكونوا يرجعون إلى الله تعالى وحدَه فـي الـدعاء والاسـتعانة وأداء شـعائر العبودية، بل كانوا يرجعون كذلك في تلك الأمور كلها إلى آلهتهم المصنوعة الملفَّقة.

وكانوا بجانبٍ آخر يكادون لا يتصورون في باب الربوبيـة المدنيـة والـسياسية أنَّ الله تعالى هو الربُّ بهذه المعاني أيضًا؛ فكانوا قد اتَّخذوا أئمتهم الدينيِّين ورؤساءهم وكبـراء عشائرهم أربابًا بتلك المعاني، ومنهم كانوا يتلقون القوانين لحياتهم»(١).

ملخص شرْك العرب في الجاهلية عند المودودي:

أ- أنَّ الجاهلية كانوا يُذعنون لله بالألوهية والربوبية.

ب- أنَّ العرب في الجاهلية اتخذوا أئمتهم الدينيِّين، ورؤساءهم وكبراء عشائرهم أربابًـا بتلك المعاني، ومنهم كانوا يتلقَّون القوانين لحياتِهم، وبعبارةٍ مختصَرةٍ: كان شـركهم في الحاكميَّة.

ثم قرَّر المودودي في نهاية بحثِه ما توصَّل إليه فقال: «إنَّ هذا البحث الذي قـد خُـضْنا غمارَه في الصفحات السابقة بصدد تصوُّرات الأمم الضالَّة وعقائدها؛ ليكشِفَ القناع عـن حقيقة أنَّ جميع الأمم التي قد وصَمَها القرآن بالظلم والضلال وفساد العقيـدة مـن لَـدُن أعرقِ العصور في القدم إلى زمنِ نزول القرآن -لم تكن منها جاحدةً بوجود الله تعـالى، ولا كانت تُنكِر كون الله ربًّا وإلهًا بالإطلاق؛ بل كان ضلالها الأصـلي المـشترك بـين جميعها أنها كانت قد قَسمَت المعاني الخمسة لكلمة (الرب) التي قد حدَّدناها في بداية هذا الباب قسمين متباينين:

فأما المعاني التي تدلُّ على أنَّ الربَّ هو الكفيل بتربية الخلق، وتعهُّده، وقـضاء حاجتِـه، وحفظه، ورعايته بالطُّرُق الخارجة عن النظام الطبيعي، فكانت لها عندهم دلالـةٌ أخـرى مختلفةٌ، وهم وإن كانوا لا يعتقدون إلا الله تعالى ربَّهم الأعلى بموجِبِها، إلا أنهـم كـانوا يُشرِكون به في الربوبية الملائكة، والجـن، والقـوى الغيبيـة، والنجـوم، والـسيارات، والأنبياء، والأولياء، والأئمة الرُوحانيِّين.

وأما المعنى الذي يدلُّ على أنَّ الربَّ هو مالك الأمر والنهي، وصاحب الـسلطة العليـا، ومصدر الهداية والإرشاد، ومَرجِع القانون والتشريع، وحاكم الدولة والمملكـة، وقطـب الاجتماع والمدنيَّة، فكانت له عندهم دلالةٌ أخرى متباينةٌ، وبموجب هذا المفهوم كانوا إمـا يعتقدون أنَّ النفوس الإنسانية وحدَهم ربًّا من دون الله، وإما يستـسلمون لربوبيـة تلـك

(١) المصطلحات الأربعة، المودودي، (ص: ٥٢).

النفوس في شؤون الأخلاق والمدنية والسياسة مع كونهم يُؤمِنون إيمانًا نظريًّا بأن الله هو الربُّ، هذا هو الضلال الذي ما زالت تبعث لحسْمِه الرسل عليهم السلام من لَدُنْ فجْرِ التاريخ، ولأجل ذلك بَعَثَ الله أخيرًا محمَّدًا صلى الله عليه وسلم»[1].

ويمكن تلخيصُ عقائد الأمم السابقة عند المودودي في النقاط التالية:

أنَّ جميع الأمم التي قد وصَمَها القرآن بالظلم والضلال وفساد العقيدة من لدن أعرق العصور في القِدَم إلى زمن نزول القرآن، لم تكن منها جاحدةً بوجود الله تعالى، ولا كانت تُنكِر كون الله ربًّا وإلهًا بالإطلاق لا النمرود ولا فرعون، فالجميع يؤمن بربوبيته وألوهيته.

فالربوبية بمعنى الربِّ هو الكفيل بتربية الخلق وتعهُّدِه بقضاء الحاجات والحفظ والرعاية، كانوا لا يعتقدون ذلك إلا في الله تعالى، إلا أنهم كانوا يشركون به في الربوبية الملائكةَ، والجنَّ، والقوى الغيبية، والنجوم، والسيارات، والأنبياء، والأولياء، والأئمة.

وأما الربوبية بمعنى أنه مالِكُ الأمر والنهي، وصاحب السلطة العليا، ومصدر الهداية والإرشاد، ومرجع القانون والتشريع، وحاكم الدولة والمملكة، وقطب الاجتماع والمدنية، فهم على قسمين:

القسم الأول: إما يعتقدون أنَّ النفوس الإنسانية وحدَهم ربٌّ من دون الله؛ أي يرفضون حكم الله تمامًا، ويعتقدون أنَّ آلهتهم هي الحقيقة بالتشريع والحكم، وليس لله أيُّ نصيبٍ وشركٍ في هذا الباب عندهم.

القسم الثاني: يستسلمون لربوبية تلك النفوس في شؤون الأخلاق والمدنية والسياسة مع استحقاق الله كذلك بالتشريع.

والفرق بين القسمين:

القسم الأول: جعل الحاكمية والتشريع حقًّا لزعمائهم وكبرائهم فقط دون الله.

القسم الثاني: جعل الحاكمية حقًّا لله وحقًّا لزعمائهم؛ أي: شراكة.

وأكَّد ذلك الفهم الذي خَفِي على الأمة من بعد عصر النبوة بقوله: «هذا هو الضلال الذي ما زالت تُبعَث لحسْمه الرسل عليهم السلام، من لَدُن فجر التاريخ، ولأجْلِ ذلك بَعَثَ الله أخيرًا محمَّدًا صلى الله عليه وسلم»[2].

---

(١) المصطلحات الأربعة، المودودي، (ص: ٥٦).

(٢) المصطلحات الأربعة، المودودي، (ص: ٥٦).

والردُّ على هذا التفسير المحْدَث للإسلام من عدَّةِ وجوهٍ:

الوجه الأول: فسَّر المودودي الإسلام بطريقةٍ جديدةٍ تُخالِف جميع المفسِّرين، من عهد شيخ المفسرين الطبري إلى المفسرين في عصرنا.

الوجه الثاني: الحقُّ الذي لا مِريةَ فيه أنَّ مسألة التوحيد والإيمان هي ما جاء به جميع الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، وهي التي من أجلها دار الصراعُ بين الأنبياء والأمم الضالَّة؛ كما جاء في هذه الآيات: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾،[الأنبياء: ٢٥]، وقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾، [النحل: ٣٦]، وقوله سبحانه: ﴿وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾،[الزمر:٦٥].

فحدَّد الخالق سبحانه وتعالى غايةَ إرسال الأنبياء والرُّسُل؛ وهي إقامة التوحيد الذي يعني الخضوعَ له وحدَه وإفرادَه بالألوهية (العبادة)؛ فكان التوحيدُ وتصحيحُ العقائد وتعميقُ الصلة بين العبد وربِّه أوَّلَ دعوتِهم عليهم السلام، ومحارَبةُ الوثنية السائدة في تلك العصور أكبرَ هدفٍ لهم عبر الأزمنة والعصور.

ولم تكن الخصومة بين الأنبياء والرسل من جهةٍ وأقوامهم من جهةٍ أخرى إلا فيمن يستحقُّ العبادة وحدَه؛ أي في توحيد الألوهية، فهو لُبُّ دعوة الرسلِ وحقيقتُها، وهو المقصود الأعظم والمطلوب الأكبر من خلق العباد.

فمن ظنَّ أنَّ مقصود الرسالات عامةً، ومنها رسالة نبينا محمد عليه الصلاة والسلام خاصَّةً، خلافُ تعبيد الناس لربهم وحدَه، وجعْل الخلافِ بين الرسل وأممهم لمن يكون الحكم وإقامة الحكومة الإلهية فقط، فقد أوقع نفسه في محذورَين عظيمَين؛ هما:

الأول: الفِرْيَة على الشريعة.

الثاني: صَرْفُ الخلائق عن الغاية الكبرى للدِّين إلى وسيلةٍ ليست مقصودةً لذاتها.

ويلاحظ من النُّقُولات السابقة للمودودي أنه لم يتطرَّق للمهمة العظمى والغاية الكبرى التي بُعِث من أجلها الأنبياءُ، وصُرِّح بها في مئات الآيات والأحاديث، وهي أعظمُ الحقوق وأجَلُّها: توحيد الله عز وجل، إنما تطرَّق لما يظُنُّه ويعتقده في قرارة نفسه، وهو أنَّ الأنبياء بُعِثُوا لأجل مُناطَحة الحكَّام وإحداث الانقلابات والوثوب على السلطة.

الوجه الثالث: لا يوجد دليلٌ من الكتاب والسنة يدلُّ على أنَّ غايةَ مهمَّة الأنبياء عليهم السلام إقامةُ الحكومة الإسلامية، ومحاولةُ إحداث الانقلاب السياسي، فالأنبياء أُرسِلوا لغرض توحيد الله، قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَـهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء: ٢٥].

وكما بدأ الأنبياء عليهم السلام حياتهم بالتوحيد خَتَموا حياتهم به، فهذا نبيُّ الله يعقوب، وعند سكرات الموت يختم حياته بالدعوة للتوحيد، قال تعالى: ﴿أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَهًا وَاحِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ [البقرة: ١٣٣].

فليس في منهج الرسل والأنبياء أن تكون السلطة السياسية هدفًا مباشرًا لدعوتهم، وليس من منهجهم السعي للإطاحة بالأنظمة السياسية القائمة بدعوى إقامة (حاكمية الله)!

ومما يردُّ به قوله: «إنَّ غايةَ مهمَّة الأنبياء إحداثُ الانقلاب السياسي»؛ أنَّ هذه دعوةٌ للأمة بالخروج وحملِ السلاح وسفْكِ الدماء والوثوبِ على السلطة، ولو كان الثمنُ غاليًا من دماءٍ وأعراضٍ وأموالٍ.

ومذهب أهل العلم تحريم الخروج بالسيف على الحكام مهما بلغوا من الفسق والفجور، وحتى في حالة كفرهم يكون الخروج وَفْقَ قيودٍ شدَّد الشارع فيها؛ وما سبب التشديد إلا أنَّ قاعدة الشرع المستمرَّة الحفاظُ على أرواح القبلة ما أمكن لذلك سبيلًا.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «وأهل العلم والدين والفضل؛ فلا يرخِّصون لأحدٍ فيما نهى الله عنه من معصية ولاة الأمور، وغشِّهم، والخروج عليهم بوجهٍ من الوجوه، كما قد عُرِف من عادات أهل السنة والدين قديمًا وحديثًا، ومن سيرة غيرهم»(١).

وقال الإمام النووي: «وأما الخروج عليهم وقتالهم؛ فحرامٌ بإجماع المسلمين –وإن كانوا فسقةً ظلمةً– وقد تظاهرَتِ الأحاديثُ بمعنى ما ذكَرْتُه، وأجمع أهل السنة أنه لا ينعزل السلطانُ بالفسق»(٢).

الوجه الرابع: أنَّ الحكومة والخلافة والتمكين في الأرض تأتي ثمنًا للعبودية إذا قام بها العبادُ حقَّ قيامها.

الوجه الخامس: أنَّ التفريق بين دعوات الأنبياء –ولو قيدَ أَنْمُلَة – لا دليلَ عليه من الشرع، ولا سبق عليه قولُ عالمٍ مُعتبرٍ من سلف الأمة؛ فلم يُخصِّص الله تعالى لنبيٍّ من أنبيائه مهمةً دون الآخر، فجميعهم أرسلوا من أجل غايةٍ واحدة، وهي توحيد الله عز وجل؛ والذي أوقع المودودي ومن وَافقَه بهذا التفريق اعتقادُهم أنَّ مهمَّةَ الأنبياء هي الوصول إلى السلطة والحكم من خلال إحداث الانقلابات السياسية لإقامة الدولة؛ فلذلك ظنُّوا بعضَهم نجَحَ وبعضَهم لم ينجح، والحقّ أنَّ مهمة الأنبياء كانت من أجل غايةٍ واحدةٍ؛ وهي الدعوة للتوحيد، وقد أدوها على أكمل وجهٍ.

(١) مجموع الفتاوى، ابن تيميه، (٣٥/ ١٢).

(٢) شرح صحيح مسلم، النووي، (١٢/ ٤٣٢، ٤٣٣).

الوجه السادس: تركيزه على فكرة الحاكميَّة واعتبار أنَّ العلاقة بين العبد وربِّه هي علاقةٌ قائمةٌ على مفهوم السلطة والسيادة بشكلٍ أساسيٍّ، فقد أصبحت فكرة السلطة السياسية والحاكمية هي المفهوم الأصلي للدين!

الوجه السابع: نتج من تضخيمه لمسائل الحاكمية، وأنها شركُ جميع الأمم -تضاؤلٌ في شناعة الإشراك في العبادة، باعتبارها جاهليةً بدائيةً قديمةً لا تستحقُّ عناء صرف الجهد لمقاومتِها وبيان بشاعتها.

وهذا ما قرَّره سيد قطب حرفيًّا، والذي كان من المعجبين بفهم المودودي الجديد للإسلام، وسأنقُل أقواله قريبًا، بحكم أنه المنظرُ الثاني للتفسير السياسي للإسلام.

الوجه الثامن: أنه خالَفَ صريحَ ظاهر القرآن؛ الذي يشير إلى ادِّعاء النمرود وفرعون الربوبية، وإنكار وجود الله، فظاهر الآيات صريحٌ في دعوى الربوبية، قال تعالى -حكاية عن فرعون-: ﴿فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى﴾ [النازعات: ٢٤]، وقوله تعالى: ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِي﴾ [القصص: ٣٨].

وقد أطبق المفسِّرون على هذا الفهم، قال ابن كثير: «وكانوا يجحدون الصانع جلَّ وعلا، ويعتقدون أنه لا ربَّ لهم سوى فرعون»(١).

ويقول الشيخ عبد العزيز بن باز -رحمه الله-: «النمرود كان جبارًا عنيدًا، وكان يدَّعي الملْكَ، ويدَّعِي أنه ربُّ العالمين، ويدَّعِي أنه يُحيي ويُميت، فلهذا قال له إبراهيم: ﴿رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ﴾، فانتقل معه إبراهيم إلى حجَّةٍ أوضح للناس وأبْيَن للناس حتى لا يستطيع أن يقول شيئًا في ذلك، فبيَّن له عليه الصلاة والسلام أن الله يأتي بالشمس من المشرق، فإن كنتَ ربًّا فأتِ بها من المغرب، فبُهِت واتَّضح للناس بطلانُ كيده، وأنه ضعيفٌ مخلوقٌ لا يستطيع أن يأتي بالشمس من المغرب بدلًا من المشرق، واتَّضح للناس ضلالُه ومكابرتُه وصحَّة ما قاله إبراهيم عليه الصلاة والسلام»(٢).

الوجه التاسع: وأما قوله: «إن جميع الأمم التي قد وصمها القرآن بالظلم والضلال وفساد العقيدة من لَدُن أعرق العصور في القِدَم إلى زمن نزول القرآن، لم تكن منها جاحدةً بوجود الله تعالى، ولا كانت تُنكِر كون الله ربًّا وإلهًا بالإطلاق».

فهذا لا يقول به من لديه أدنى فَهْمٍ للقرآن والسنة، فقد جاءت آياتٌ وأحاديثُ كثيرةٌ تُبيِّن أنَّ ضلال الأمم السابقة في باب الألوهية، وأنَّ الخصومة بين الأنبياء وأممهم في توحيد الألوهية.

---

(١) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، (٦/ ١٣٨).

(٢) مجموع فتاوى ومقالات الشيخ ابن باز، (٩/ ٢٧٩).

يقول الشيخ عبد العزيز بن باز –رحمه الله–: «يجب أن يُعرَف أن التوحيد الذي بَعَثَ به اللهُ الرسلَ وأنزل به الكُتُب ووقعت فيه الخصومة بين الرُّسُل وأممهم هو توحيد العبادة، أما كونُه سبحانه ربَّ الجميع وخالقَ الخلقِ، وأنه كاملٌ في ذاتِه وصفاتِه؛ فهذا لم يَقَعْ فيه الخلاف بين الرُّسُل والأمم»[١].

وأما الربوبية: فيُلاحَظ من القرآن والسُّنَّة أنه لم يُنكِرْها ولم يَجحدْها إلا القلائل؛ كظاهر آيات فرعون والنمرود، قال ابن كثير –رحمه الله–: «قال فرعون: ومن هذا الذي تَزعُم أنه ربُّ العالمين غيري»[٢].

وجاءت أحاديثُ تدلُّ على أنَّ بعض الأمم كانت تُنكِر وجود الله، كحديث الغلام، والساحر، والراهب، والذي فيه دلالةٌ صريحةٌ على أنَّ هذا الملِك كان يُنكِر وجودَ الله عز وجلَّ ويدَّعي الربوبيَّة[٣].

الوجه العاشر: وأما قوله: «الذي يعتقد أمر كائنٍ ما من دون الله مما يجب إطاعته والإذعان له بغير سلطان من عند الله، فإنه يأتي من الشرك بمثل ما يأتي به الذي يدعو غير الله ويسأله...».

ظاهر كلامه وضْعُ شركِ الحاكمية في درجةٍ واحدةٍ مع شرك صرْفِ العبادات لغير الله؛ من عبادة الأصنام والأوثان والأضرحة من سجودٍ لها ودعاءٍ، بل صرح بما هو أشنع، وجعلَه في نفس درجة مدَّعِي الربوبية والألوهية، فقال في تتمَّة كلامه: «أو يدَّعِي أنه مالِك الملك، والمسيطر القاهر، والحاكم المطلق، فإنَّ دعواه هذه كدعوى الألوهيَّة ممن ينادي بالناس: إني وليكم وكفيلكم وحاميكم وناصركم».

وهذا مخالِفٌ لما جاء في محكم القرآن والسُّنَّة؛ فإن غالب النصوص جاءت تُشنِّع على مدعي الربوبية، ومن صرف عبادةً لغير الله من دعاءٍ ونذْرٍ وذبحٍ، ولا يعني ذلك أنَّ العبد يُهوِّن من مسائل الحكم بغير ما أنزل الله، فمن هوَّن من مسائل الحكم بغير ما أنزل الله، فلم يَقْدُر اللهَ حقَّ قدره.

ومن ساوى بين مسائل الحكم، ودعوى الربوبية، وصرف عبادةٍ لغير الله؛ فلم ينصف كذلك، والوسط هو الحقُّ دائمًا عدم التهوين من مسائل الحكم، وعدم مساواته بمسائل شرْك دعوى الربوبية والألوهية، وسيأتي كلامٌ قيمٌ للندوي في تفنيد هذا الزعم قريبًا.

(١) مجموع فتاوى ومقالات الشيخ ابن باز، (٢/ ٤١).
(٢) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، (٦/ ١٣٨).
(٣) أورده مسلم في صحيحه، كتاب: الزهد والرقائق، رقم الحديث: (٣٠٠٥).

٤- القول بأنَّ القرآن ظلَّ مُلتبِسًا على الأمة بأسْرِها بعد القرون المفضَّلة:

أكَّد المودودي في رسالته (المصطلحات الأربعة) أنَّ الأمة التي نَزَل عليها القرآن كانت تَعرِف معاني المصطلحات الأربعة: (الإله، والربّ، والدين، والعبادة)، ثم بعد انقراض عصر القرون المفضَّلة تبدَّلتْ معانيها الأصلية، وجَهل الناس معانيَها، وضُيِّقَت المعاني.

فقال: «أمِنَ الحق الذي لا مراءَ فيه أنه قد خَفِيَ على الناس معظم تعاليم القرآن، بل قد غابت عنهم رُوحُه السامية وفكرتُه المركزية لمجرد ما غَشِيَ هذه المصطلحات الأربعة الأساسية من حُجُبِ الجهل، وذلك من أكبر الأسباب التي قد تطرق لأجلها الوهن والضعف إلى عقائدهم وأعمالهم على رُغْم قبولِهم دين الإسلام وكونهم في عداد المسلِمين، لما نزل القرآن في العرب وعُرِضَ على الناطقين بالضَّاد، كان حينئذٍ يعرف كل امرئٍ منهم ما معنى (الإله)؟ وما المراد بـ (الرب)؟، وكذلك كانت كلمتا (العبادة) و(الدين) شائعتين في لغتهم، ولكنه في القرون التي تَلَتْ ذلك العصر الزاهر جعلت تتبدَّل المعاني الأصلية لجميع الكلمات، تلك المعاني التي كانت شائعةً بين القوم عصر نزول القرآن، حتى أخذت تَضِيق كل كُلمةٍ من تلكم الكلمات الأربع عما تتَّسِع له، وتُحيط به من قبلُ، وعادت منحصرةً في معانٍ ضيقةٍ محدودةٍ، وذلك لسببين:

الأول: قله الذوق العربي السليم، ونضوب معين العربية الخالصة في العصور المتأخِّرة.

والثاني: أنَّ الذين وُلِدوا في المجتمع الإسلامي ونشئوا فيه، لم يكن قد بَقِي لديهم من معاني كلمات (الإله والرب والدين والعبادة)، ما كان شائعًا في العصر الجاهلي وقت نزول القرآن[١] ».

والردُّ عليه من وجوهٍ:

الوجه الأول: صرح في كلامه بأنَّ القرآن ظلَّ ملتبسًا على الأمة بأسْرِها بعد القرون المفضلة، دون فهم حقيقة المصطلحات القرآنية الأربعة.

وهذا بلا شكٍّ تجهيلٌ لعلماء الأمَّة بأسْرِهم؛ لأنهم قد أخطأوا في فهْمِ نصٍّ من نصوص القرآن، وهي حقيقة المصطلحات الأربعة: (الإله، والرب، والدين، والعبادة)، وأنهم ظلُّوا رهان هذا الخطأ من بعد القرون المفضلة؛ حتى أتى المودودي وكَشَفَ الغطاء عنها بتفسيره!

وهذه المسألة: «تجهيل الأمة كلها ما عدا القرون المفضلة»[٢]، هي أوّل ما فنَّده الندوي وبيِّن خطورته؛ فقال -تخطئةً لهذا الزعم-: «أنه تشكيكٌ في صلاحية هذه الأمة

(١) المصطلحات الأربعة، المودودي، (ص: ٨، ٩).

(٢) هذه المسألة أفزعت علماء بلده وأدركوا خطورتها مبكرًا، وقاموا بالردّ عليه وتفنيد أقواله؛ مثل وحيد الدين خان وأبي الحسن الندوي وعمر المليباري.

ومركزها القيادي والدعوي وفي فهْمِ هذه الأمة لهذا الكتاب والعمل به خلال تاريخها الطويل، ويُقلِّل من قيمة مآثر المجدِّدين والمصلِحين والمجتهدين، الكتاب الذي لم يُفهَم حقَّ الفهم في أطول مدَّةٍ وأخصبها عملًا وعلمًا وكفاحًا، يشك في إبانتِه ووضوحِه وإفادتِه، ويشكُّ في كلِّ ما يقال عنه ويفسر به في هذا العصر وبعده، وذلك يفتح الباب للتوسُّع في تأويله على مصراعيه كما فعلَتِ الباطنية في مختلف أشكالِها، ويشجع المحاولات التي ترمي إلى تحويل الحقائق الدينية إلى لُغزٍ مستعصٍ على الفهم والإدراك»[(١)].

الوجه الثاني: أنَّ قولَه يتعارض مع العديد من الضوابط والحقائق الشرعية:[(٢)]

١-يتعارَض مع صريح نصوص القرآن الكريم بأنه يتَّصف بالإبانة والوضوح، قال تعالى: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾ [النحل: ٨٩]، وقال تعالى: ﴿وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ﴾ [الزخرف: ٢]، وقال تعالى: ﴿الر ۚ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ وَقُرْآنٍ مُّبِينٍ﴾، [الحجر: ١]، وهذه الإبانة تشمل الكلمات ومعانيها؛ قال ابن كثير –رحمه الله–: «فإن القرآن اشتمل على كلِّ علمٍ نافعٍ من خبر ما سبق، وعلْم ما سيأتي، وحكْم كلِّ حلالٍ وحرامٍ، وما الناس إليه محتاجون في أمر دنياهم ودينهم، ومعاشهم ومعادهم»[(٣)].

٢- يتعارض مع قاعدة الحفظ الإلهي للقرآن الكريم، التي وردت الإشارة إليها في قوله تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾،[الحجر: ٩]، وهذا الحفظ الإلهي للقرآن يشمل كلماته ومعانيه.

٣-كما يتعارض مع تقرير النصوص، والتي جاء فيها عدم اجتماع الأمة على ضلاله واستمرار ظهور طائفةٍ على الحقِّ، وهي أهل السنة والجماعة، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لا تجتمع أمتي على ضلاله»[(٤)]، وقال صلى الله عليه وسلم: «لا تزال طائفة من أمتى ظاهرين على الحق، لا يضرُّهم من خذَلَهم حتى يأتي أمرُ الله وهم كذلك»[(٥)]، وقوله عليه الصلاة والسلام: «إن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يُجدِّد لها دينها»[(٦)].

٤-قد نصَّ القرآن في غير موضعٍ منه على أنَّ آياته محكمةٌ ومُفصَّلةٌ، قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَنزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُّحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ﴾ [آل عمران: ٧]؛ قال

(١) التفسير السياسي للإسلام، أبو الحسن الندوي، (ص: ٢٢٢، ٢٢٣).
(٢) انظر: المصدر السابق، (ص: ٢٢٢– ٢٢٨).
(٣) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، (٤/ ٥٩٤).
(٤) مختصر المقاصد، الزرقاني، (١١٧٩).
(٥) رواه مسلم في صحيحه، كتاب: الإمارة، رقم الحديث: (١٩٢٠).
(٦) رواه أبو داود في السنن، كتاب: الملاحم، رقم الحديث: (٤٢٩١) وصححه السخاوي في المقاصد الحسنة، (١٤٩)، والألباني في السلسلة الصحيحة، رقم الحديث: (٥٩٩).

ابن كثير -رحمه الله-: «أي: بينات واضحاتٌ الدلالة، لا التباسَ فيها على أحد، فهنَّ حجةُ الربِّ وعصمةُ العباد، ودفع الخصوم الباطل، ليس لهنَّ تصريفٌ ولا تحريفٌ عما وضعنا عليه»[١].

المطلب الثالث: التفسير السياسي للإسلام عند سيد قطب

تأثَّر سيد قطب[٢] بالمودودي كثيرًا، وتأثَّر بتفسيره السياسي للإسلام، وجعلَه منهجًا له في رسائله وكُتُبه، وأضاف عليه وانتصر له[٣]؛ يقول النَّدْوي في بيان تأثُّر سيد قطب بكتابات المودودي: «وقد أُعجِب الكاتب الإسلامي الكبير الأستاذ سيد قطب الشهيد -وهو صديق المؤلف العزيز- إعجابًا شديدًا بكتاب الأستاذ المودودي (المصطلحات الأربعة في القرآن) ووافَقَه كلَّ الموافقَة في الآراء والأفكار التي يتضمَّنُها، وقد جعل الحاكمية أخصَّ خصائص الألوهية، وكتاباتُه تُقلِّل من شناعة عبادة الأصنام والأوثان وعبادة غير الله في الجاهلية؛ لأنه يعتبرها صورةً ساذجةً بدائيةً للجاهلية الأولى"[٤].

ويؤكِّد ذلك قول يوسف القرضاوي: «إنَّ سيد قطب كان من المعجَبين بالإمام حسن البنا -مؤسس جماعة الإخوان المسلمين-، لكنَّ قطبًا لم يَنقُل عن فكر البنَّا مثلما نقل عن الشيخ أبي الأعلى المودودي، فقد تأثَّر قطبٌ بالمودودي كثيرًا، وأخذ عنه فكرة الحاكمية والجاهلية، ولكن قطب خرج في النهاية بنتائجَ عن تكفير المجتمع وجاهليته، تختلف تمامًا عما قاله المودودي»[٥].

ويقول القيادي الإخواني علي العشماوي: «وصلتْنا رسالة من سيد قطب -وهو في سجنه- في عشر صفحات، مكتوبةٌ بخطِّ اليد في العقيدة، أوصانا بوجوب تصحيح الاعتقاد أوَّلًا، وبدراسة كتبٍ مُعيَّنةٍ؛ منها: كتب للمودودي، وخاصة (المصطلحات الأربعة)»[٦].

---

(١) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، (٣٢٥/١).

(١) هو سيد قطب إبراهيم بن حسين الشاذلي، وُلد (٩ أكتوبر ١٩٠٦م) في قرية موشا، وهي إحدى قرى محافظة أسيوط في صعيد مصر، والتي تلقَّى بها تعليمه الأوَّل، ثم التحق بدار العلوم وتخرج فيها ليعمل بوزارة المعارف بوظائف تربوية وإدارية، يُعَدُّ سيد قطب من كبار مُنظِّري الإخوان، وشغل منصب رئيس قسم نشر الدعوة في الجماعة، ورئيس تحرير جريدة (الإخوان المسلمون)، وعضو في مكتب الإرشاد؛ عُرف بتنظيره لتوحيد الحاكميَّة، والقول بجاهلية وتكفير المجتمعات المعاصرة، وتكوين العصبة المؤمنة التي تعمل على إحياء المجتمع الجاهلي، ثم إقامة الدولة الإسلامية، وذلك نتيجة اقتناعه بفكرة حسن البنا وتأثُّره الشديد بكتب ورسائل أبي الأعلى المودودي، حتى أصبح رائد فكْرِ الجماعات والحركات الإسلامية والأب الروحي لها؛ من أشهر مؤلَّفاته: (في ظلال القرآن، ومعالم في الطريق، والعدالة الاجتماعية، والمستقبل لهذا الدين)، أُعدِم في (٢٩ أغسطس ١٩٦٦م) بتهمة تأسيس تنظيم سرِّي مسلَّح لجماعة الإخوان المسلمين. انظر: المعجم الجامع في تراجم العلماء وطلبة العلم المعاصرين، (ص: ١٠٠- ١٠٤). وانظر: ترجمة سيد قطب كتاب سلسلة الإيمان والكفر، (٢١/ ١٠- ١٣).

(٣) وبخاصة تفسيره في ظلال القرآن الطبعة الثانية وما بعدها، ومعالم في الطريق.

(٤) التفسير السياسي للإسلام، أبو الحسن الندوي، (ص: ٢٥٥- ٢٥٨).

(٥) موقع يوسف القرضاوي على الشبكة.

(٦) التاريخ السرِّي لجماعة الإخوان المسلمين، علي العشماوي، (ص: ١٥٩).

وفيما يلي أقوالٌ تُؤكِّد تَبَنِّي سيد قطب للتفسير السياسي للإسلام:

١- **يقول سيد قطب:** «ما كان الخلاف على مدار التاريخ بين الجاهلية والإسلام، ولا كانت المعركة بين الحق والطاغوت، على ألوهية الله سبحانه للكون، وتصريف أموره في عالم الأسباب، والنواميس الكونية: إنما كان الخلاف، وكانت المعركة على: من يكون هو رب الناس، الذي يحكُمُهم بشرعه، ويصرِّفهم بأمْرِه، ويدينهم بطاعته؟ لقد كان الطواغيت المجرمون في الأرض يغتصبون هذا الحقَّ، وكانت الرسالات والرسل والدعوات الإسلامية تُجاهِد دائمًا لانتزاع هذا السلطان المغتصَب من أيدي الطواغيت، وردِّه إلى صاحبه الشرعي، فقضية الألوهية لم تكن محلَّ خلافٍ، إنما قضية الربوبية هي التي كانت تُواجِهُها الرسالات، وهي التي كانت تُواجِهها الرِسالة الأخيرة»(١).

ويؤكِّد هذا المعنى في كتابه (معالم في الطريق)؛ فقال: «إنَّ إعلان ربوبية الله وحدَه للعالمين معناها: الثورة الشاملة على حاكمية البشر بكلِّ صُورها وأشكالها وأنظمتها وأوضاعها، والتمرُّد الكامل على كلِّ وضع في أرجاء الأرض الحكمُ فيه للبشر بصورة من الصور؛ ذلك أن الحكم الذي مردُّ الأمر فيه إلى البشر ومصدر السلطات فيه للبشر هو تأليهٌ للبشر، يجعل بعضهم لبعض أربابًا من دون الله؛ إنَّ هذا الإعلان معناه انتزاع سلطان الله المغتصَب وردُّه إلى الله، وطردُ المغتصبين له الذين يحكمون الناس بشرائع من عند أنفسهم، فيقومون منهم مقامَ الأرباب، ويقوم الناس منهم مكان العبيد، إنَّ معناه تحطيم مملكة البشر لإقامة مملكة الله في الأرض»(٢).

وقال أيضًا: «كانوا يعرفون أنَّ توحيد الألوهية وإفراد الله بها معناه: نزعُ السلطان الذي يزاوله الكُهَّان، ومشيخة القبائل، والأمراء، والحُكَّام، وردُّه كلُّه إلى الله»(٣).

والردُّ على هذه الأقوال من وجوهٍ:

الوجه الأول: أما قوله: «ما كان الخلاف على مدار التاريخ على الألوهية...»، وقوله: «وكانت الرسالات والرسل والدعوات الإسلامية تُجاهِد دائمًا لانتزاع هذا السلطان المغتصَب من أيدي الطواغيت، وردِّه إلى صاحبه الشرعي..»؛ فهذا غلطٌ واضحٌ كما بينَّا في نُقُولاتٍ سابقةٍ، ويُلاحَظ تركيزُه على أن الغاية الكبرى للعبادة والخصومة بين الأنبياء وأممهم هي في مسائل الحكم والحاكمية، ولمن يكون الحكم؟ مع إغفاله معنى توحيد

(١) في ظلال القرآن، سيد قطب، (١٨٤٦/٤).
(٢) معالم في الطريق، سيد قطب، (٦١).
(٣) في ظلال القرآن، سيد قطب، (٢/ ١٠٠٥).

الألوهية وهو: إفراد الله بالعبادة؛ الذي من أجْلِه أنزل الله الكتب وبَعَثَ الرسل.

ومن المعلوم: اعترافُ الأمم السابقة ببعض مسائل توحيد الربوبية إلا الشُّذَّاذ منهم؛ كـ(النمرود وفرعون)، وأما توحيد الألوهية فهو مكان الصراع بين الأنبياء وأممهم، فكلُّ الرسل والأنبياء بُعِثُوا من أجل إفراد الله بالعبادة؛ قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦]، وقال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء: ٢٥].

وحديث أبي سفيان حينما سأله هرقل عن نبيِّنا عليه الصلاة والسلام: «ماذا يأمرُكم؟ قلتُ: يقول: اعبدوا الله وحدَه ولا تشركوا به شيئًا، واتركوا ما يقول آباؤكم، ويأمرنا بالصلاة والصدق والعفاف والصلة...»(١)؛ وكلُّ هذه الأدلة لا يوجد فيها ذكرٌ للحاكمية.

يقول الشيخ عبد العزيز بن باز -رحمه الله-: «إنَّ الله بعث في جميع الأمم في كلِّ أمَّةٍ رسولًا؛ يقول لهم: اعبدوا الله، واجتنبوا الطاغوت، هذه دعوة الرسل، كلُّ واحدٍ يقول لقومِه وأمَّتِه: اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت؛ المعنى: وحِّدوا الله؛ لأنَّ الخصومة بين الرسل والأمم في توحيد العبادة، وإلا فالأمم تُقِرُّ بأن الله ربُّها وخالِقُها ورازِقُها، وتعرف كثيرًا من أسمائه وصفاته، ولكن النزاع والخصومة -من عهد نوحٍ إلى يومنا هذا- في توحيد الله بالعبادة، فالرسل تقول للناس: أَخلِصُوا العبادة له، وحِّدُوه بها، واتركوا عبادة ما سواه، وأعداؤهم وخصومُهم يقولون: لا بل نعبدُه ونعبدُ غيرَه، ما نخصُّه بالعبادة؛ هذا هو محلُّ النزاع بين الرسل والأمم، الأمم لا تُنكِر عبادته بالجملة، بل تعبُدُه، ولكن النزاع هل يُخَصُّ بها أم لا يُخَصُّ؟ فالرسل بعثَهم الله لتخصيص الربِّ بالعبادة، وتوحيده بها، دون كلِّ ما سواه؛ لكونه عزَّ وجلَّ المالك القادر على كلِّ شيء، الخلَّاقَ الرزَّاقَ للعباد، العليمَ بأحوالهم، إلى غير ذلك، فلهذا دعَتِ الرسل عليهم الصلاة والسلام جميع الأمم إلى توحيد الله، وإخلاص العبادة له سبحانه وتعالى، وترْك عبادة ما سواه، وهذا هو معنى قوله عز وجل: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾؛ [النحل: ٣٦]، قال ابن عباس -رضي الله عنهما- في هذا المعنى: العبادة هي التوحيد»(٢).

فهدف الأنبياء الأسمى القضاءُ على الوثنية بكافَّة أشكالها حتى يعبد الله وحدَه ويدخل فيها قطعًا قضيةُ أفراد الله بالحكم، والخصومة بين جميع الأنبياء والرسل من نوحٍ إلى خاتم الأنبياء محمَّدٍ عليهم الصلاة والسلام مع أممهم كانت في توحيد الألوهية، فهو أوَّل دعوة

(١) رواه مسلم في صحيحه، كتاب: الجهاد والسير، رقم الحديث: (١٧٧٣).
(٢) مجموع فتاوى ومقالات الشيخ ابن باز (٢/ ٤١).

الرسل، وهو معنى قول: (لا إله إلا الله)، وهو الواجب على المكلَّف، فتوحيد الألوهية هو أوَّل الدين؛ بل هو آخر ما يخرج به من الدنيا، كما قال رسول الله ﷺ: «من كان آخر كلامِه: (لا إله إلا الله)؛ وجبت له الجنة»[1]؛ وقوله ﷺ لما بعث معاذاً إلى اليمن: «إنك تُقدِم على قومٍ أهلِ كتابٍ، فليكن أوَّل ما تدعوهم إليه عبادة الله عز وجل»[2].

الوجه الثاني: قوله: «كانوا يعرفون أنَّ توحيد الألوهية وإفراد الله بها معناه: نزعُ السلطان الذي يزاولُه الكُهَّان، ومشيخة القبائل، والأمراء، والحُكَّام، ورَدُّه كلُّه إلى الله»[3].

إنَّ سيد قطب هنا عطَّل مدلول كلمة التوحيد، وحصرَها في (الحاكمية)، وإنَّ المحرِّف للشريعة يرتكب محذورَين عظيمَين كما يُقرِّر أهل العلم:

المحذور الأول: هو تحريف المعنى الحقِّ.

المحذور الثاني: الإتيان بمعنًى غيرِ صحيحٍ.

أما تحريفُه للمعنى الحقِّ؛ فإن كلمة التوحيد فسَّرها السلف بغير هذا؛ قال ابن كثير –رحمه الله– في قوله تعالى: ﴿وَهُوَ اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ لَهُ الْحَمْدُ فِي الْأُولَىٰ وَالْآخِرَةِ ۖ وَلَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [القصص: ٧٠]: «المنفرد بالإلهية، فلا معبودَ سواه، كما لا ربَّ يخلُق ما يشاء ويختارُ سواه»[4].

وأما المحذور الثاني: فسَّر كلمة التوحيد بمعنًى غيرِ صحيحٍ، فقد فسَّرها بـ(الحاكمية)[5]؛ حيث قال: «إنَّ توحيد الألوهية وإفرادَه هو نزعُ سلطان الكُهَّان والأمراء وردُّه إلى الله، ويلاحظ أنه لم يتطرَّق لقضية إفراد الله بالعبادة!

قال الشيخ صالح الفوزان في بيان معنى شهادة أن (لا إله إلا الله): «الاعتقاد والإقرار أنه لا يستحقُّ العبادةَ إلا الله، والتزام ذلك والعملُ به، فـ(لا إله) نفيٌ لاستحقاقِ من سوى الله للعبادة، كائنًا من كان، (إلا الله) إثباتٌ لاستحقاقِ الله وحدَه للعبادة، ومعنى هذه الكلمة إجمالًا: لا معبود بحقّ إلا الله؛ وقد فُسِّرت هذه الكلمة بتفسيرات باطلة؛ منها:

أ– أنَّ معناها: (لا معبود إلا الله)، وهذا باطلٌ؛ لأنَّ معناه: أنَّ كلَّ معبود بحقٍّ أو باطل هو الله.

ب– أنَّ معناها: (لا خالق إلا الله)، وهذا جزءٌ من معنى هذه الكلمة؛ ولكن ليس هو المقصود؛ لأنه لا يُثبِت إلا توحيد الربوبية، وهو لا يكفي، وهو توحيد المشركين.

---

(١) رواه الإمام أحمد في مسنده، مسند معاذ بن جبل (٢٢١٢٧)، وأبو داود في سننه، كتاب: الجنائز، رقم الحديث: (٣١١٦)، وصححه الألباني في مشكاة المصابيح، (٥٠٩/١).

(٢) رواه مسلم في صحيحه، كتاب: الإيمان، رقم الحديث: (١٩).

(٣) في ظلال القرآن، سيد قطب، (٢/ ١٠٠٥).

(٤) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، (٦/ ٢٥١).

(٥) رسالة دكتوراه بعنوان: خوارج العصر وموقفهم من ولاة الأمر وجماعة المسلمين والمستأمنين والآثار المترتبة على ذلك، د. إبراهيم المحيميد، (ص:٧١).

جـ- أنَّ معناها: (لا حاكمية إلا لله)، وهذا أيضًا جزءٌ من معناها، وليس هو المقصود؛ لأنه لا يكفي؛ لأنه لو أفرد الله بالحاكمية فقط ودعا غير الله أو صرف له شيئًا من العبادة لم يكن موحِّدًا، وكلٌّ هذه تفاسيرُ باطلةٌ أو ناقصةٌ؛ وإنما نبهنا عليها لأنها توجد في بعض الكتب المتداولة؛ والتفسير الصحيح لهذه الكلمة عند السلف والمحقِّقين أن يقال: (لا معبود بحقٍّ إلا الله)»(١).

وقال أيضًا: «وفي وقتنا هذا، وُجد من يفسِّر (لا إله إلا الله) بأنَّ معناها هو إفرادُ الله بالحاكميَّة، وهذا غلطٌ؛ لأنَّ الحاكمية جزءٌ من معنى (لا إله إلا الله)، وليست هي الأصل لمعنى هذه الكلمة العظيمة، بل معناها: (لا معبود بحقٍّ إلا الله بجميع أنواع العبادات)، ويدخل فيها الحاكمية، ولو اقتصر الناس على الحاكمية فقاموا بها دون بقيَّة أنواع العبادة لم يكونوا مسلمين، ولهذا تَجدُ أصحاب هذه الفكرة لا يَنهَوْن عن الشرك، ولا يهتمُّون به ويسمُّونه الشرك الساذج، وإنما الشرك عندهم الشرك في الحاكميَّة فقط، وهو ما يسمُّونه (الشرك السياسي)، فلذلك يُركِّزون عليه دون غيره، ويفسِّرون الشرك بأنه طاعةُ الحكام الظَّلَمَة»(٢).

٢- **يقول سيد قطب:** «إنما أطلقت لفظة العبادة على الشعائر التعبُّدية باعتبارها صورةً من صور الدَّينُونة لله في شأنٍ من الشؤون، صورة لا تستغرق مدلولَ العبادة، بل إنها تجيء بالتَّبعية لا بالأصالة»(٣).

ثم أكَّد تقريره هذا بأنه هو المراد ممَّا كتَبَه في تفسيره للدين في مختلف كُتُبِه؛ فقال: «هذه الحقيقة هي التي قرَّرناها كثيرًا في هذه (الظلال) وفي غيرها، في كلِّ ما وفَّقَنا الله لكتابتِه حول هذا الدِّين وطبيعته ومنهجه الحركي»(٤).

وظاهر كلامه أنَّ الشعائر التعبُّدية بما فيها المباني الأربعة العظيمة عند أهل القبلة؛ (الصلاة، والزكاة، والصيام، والحج) تدخل في مدلول ومفهوم العبادة بالتبعية لا بالأصالة، وكون الأمر تبعًا لا أصلًا، فالتبعية مرْتبةٌ ثانوية أدنى عما ثبت بالأصالة.

وقد بيَّن سيد قطب الأصل الذي تكون فيه الشعائر تبعًا له في كتاباته، فقال في قوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦]: «يتبين أنَّ مدلول العبادة لا بدَّ أن يكون أوسع وأشمل من مجرَّد إقامة الشعائر، فالجنُّ والإنسُ لا يَقضُون حياتَهم في إقامة الشعائر، والله لا يُكلِّفهم هذا، وهو يكلِّفهم ألوانًا أخرى من النشاط تستغرق

(١) عقيدة التوحيد، الشيخ صالح الفوزان، (ص: ٣٩، ٤٠).
(٢) شرح كشف الشبهات، الشيخ صالح الفوزان، (ص: ٤٦).
(٣) في ظلال القرآن، سيد قطب، (٤/ ١٩٠٢).
(٤) في ظلال القرآن، سيد قطب، (٤/ ١٩٠٢).

معظم حياتِهم، وقد لا نعرف نحن ألوان النشاط التي يُكلِّفُها الجنُّ، ولكننا نعرف حدود النشاط المطلوب من الإنسان، نعرِفُه من القرآن، من قول الله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۖ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٣٠]؛ إذن فهي الخلافة في الأرض»(١).

ويُضيف قائلًا: «ثم يتجلَّى أن معنى العبادة التي هي غاية الوجود الإنساني، أو التي هي وظيفة الإنسان الأولى أوسع وأشمل من مجرَّد الشعائر؛ وأنَّ وظيفة الخلافة داخلةٌ في مدلول العبادة قطعًا»(٢).

وقال في موطنٍ آخر: «إنَّ الواقع أنه لو كانت حقيقةُ العبادة هي مجرَّد الشعائر التعبُّديَّة ما استَحقَّت كلُّ هذا الموكب الكريم من الرسل والرسالات، وما استَحقَّت كلَّ هذه الجهود المضنِية التي بذَلَها الرسل عليهم صلوات الله وسلامه عليهم، وما استَحقَّت كل هذه العذابات والآلام التي تعرَّض لها الدعاة المؤمنون على مدار الزمان، إنما الذي استحق كل هذا الثمن الباهظ هو إخراج البشر جملةً من الدَّينُونة للعباد، وردُّهم إلى الدينونة لله وحدَه في كلِّ أمرٍ وفي كلِّ شأنٍ، وفي منهج حياتهم كلِّه للدنيا وللآخرة سواءٌ، إنَّ توحيد الألوهية، وتوحيد الربوبية، وتوحيد القوامة، وتوحيد الحاكمية، وتوحيد مصدر الشريعة، وتوحيد منهج الحياة، وتوحيد الجهة التي يَدِين لها الناس الدينونة الشاملة، إنَّ هذا التوحيد هو الذي يستحقُّ أن يُرسَل من أجله كلُّ هؤلاء الرسل، وأن تُبذَل في سبيله كلُّ هذه الجهود، وأن تُحتَمل لتحقيقه كلُّ هذه العذابات والآلام على مدار الزمان»(٣).

وهذا تهوينٌ من شأن العبادات والشعائر الدينية التي من أجلها أُرسِلَت الرسل، وسبق الردُّ على هذا القول من كلام حسن البنا والمودودي بما يُغنِي عن إعادتِه.

٣- **يقول سيد قطب:** «لقد كانت المعركة الأولى التي خاضها الإسلام ليُقرِّر وجودَه هي معركة الحاكمية وتقرير لمن تكون؛ لذلك خاضها وهو في مكة، خاضها وهو يُنشِئ العقيدة، ولا يتعرَّض للنظام والشريعة»(٤).

ويضيف قائلاً: «إنَّ وجود هذا الدين هو وجود حاكمية الله، فإذا انتفى هذا الأصل انتفى وجود هذا الدين، وإنَّ مشكلة هذا الدين في الأرض اليوم لَهِيَ قيام الطواغيت التي تعتدي على ألوهية الله، وتغتصب سلطانَه، وتجعل لأنفُسِها حقَّ التشريع بالإباحة والمنع في

(١) المصدر السابق، (٦/ ٣٣٨٧).
(٢) المصدر السابق، (٦/ ٣٣٨٧).
(٣) معالم في الطريق، سيد قطب، (١/ ١٤١).
(٤) في ظلال القرآن، سيد قطب، (٣/ ١٢١٧).

الأنفس والأموال والأولاد... وهي المشكلة التي كان يُواجهُها القرآن الكريم بهذا الحشد من المؤثِّرات والمقرِّرات والبيانات، ويَربطُها بقضية الألوهية والعبودية، ويجعلها مَناطَ الإيمان أو الكفر، وميزان الجاهلية أو الإسلام»(١).

ثم قال: «الذين لا يفردون الله سبحانه بالحاكمية -في أيِّ زمانٍ ومكانٍ- هم مشركون، لا يخرجهم من هذا الشرك أن يكون اعتقادُهم أنَّ (لا إله إلا الله) مجرَّد اعتقادٍ، ولا أن يقدِّموا الشعائر لله وحدَه؛ فإلى هنا يكونون كالحنفاء؛ الذين لم يعتبرْهم أحدٌ مسلمين؛ إنما يُعتبَر الناسُ مسلمين حين يُتمُّون حلقات السلسلة؛ أي: حين يضمُّون إلى الاعتقاد والشعائر: إفرادَ الله سبحانه بالحاكميَّة، ورفْضَهم الاعتراف بشرعيَّة حكمٍ، أو قانونٍ، أو قيمةٍ، أو تقليدٍ لم يصدر عن الله وحدَه»(٢).

والردُّ على هذه الأقوال من عدَّة وجوهٍ:

الوجه الأول: تهميشُه لأقسام التوحيد الثلاثة، واختزاله التوحيد في توحيد الحاكميَّة فقط، بحيث لا تَجِد أيَّ ذكرٍ لأقسام التوحيد الثلاثة، وخاصَّةً التوحيد الذي هو مدار الخلاف بين الأنبياء والرسل من جهةٍ وأممهم من جهةٍ أخرى، وهو توحيد الألوهية.

ولا شكَّ في أهمية الحكم بما أنزل الله، ولا ينبغي للمسلم التهوين منه، وينبغي ردُّ كافة الأحكامِ والتشريعات إلى حاكميَّة الشرع، وهذا هو الحق الذي ينبغي لكلِّ مسلمٍ التدين به ونصرتُه.

الوجه الثاني: أنَّ وضع توحيد الحاكمية كتقسيمٍ رابعٍ قولٌ محدَثٌ لم يَقُلْ به عالمٌ معتبَرٌ، وهو يدخل في توحيد الألوهية والربوبية، فلا ثَمَّةَ حاجةٌ لوضعِه تقسيمًا رابعًا مستقلًّا(٣).

قال الشيخ محمد ناصر الدين الألباني-رحمه الله- فيما يُسمَّى توحيد الحاكمية: «الحاكمية فرعٌ من فروع توحيد الألوهية، والذين يُدنْدِنُون بهذه الكلمة المحدَثة في العصر الحاضر، يتَّخِذُونها سلاحًا ليس لتعليم المسلمين التوحيد الذي جاء به الأنبياء والرسل كلُّهم، وإنما سلاحٌ سياسيٌّ، إنَّ استعمال كلمة (الحاكمية) هو من تمام الدعوة السياسية التي يختصُّ بها بعض الأحزاب القائمة اليوم»(٤).

وسُئل الشيخ عبد الله الغنيمان عن إفراد توحيد الحاكمية بقسم مُستقلٍّ، فقال: «توحيد الحاكمية داخِلٌ في توحيد العبادة بالنسبة للحاكم نفسِه كشخصٍ، أما بالنسبة له فهو يعني:

(١) المصدر السابق، (٣/ ١٢١٧).

(٢) في ظلال القرآن، سيد قطب، (٣/ ١٤٩٢).

(٣) انظر: اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء، رقم الفتوى: (١٨٨٧٠).

(٤) سلسلة الهدى والنور، شريط رقم: (٧٨٤).

التوحيد، فهو داخلٌ في توحيد الربوبية؛ لأنَّ الحاكم هو الله تعالى، فيجب أن يكون الربُّ المتصرِّفُ هو الذي له الحكم، فهو يكون داخلًا في توحيد الربوبية من حيث الحكمُ والأمرُ والنَّهيُ والتَّصرُّفُ، أما من حيث التطبيقُ والعملُ فالعبد مكلَّفٌ باتِّباع حكم الله، فهو من توحيد العبادة من هذه الجهة، وجعلُه قسمًا رابعًا ليس له وجهٌ؛ لأنه داخِلٌ في الأقسام الثلاثة»(١).

وقال الشيخ صالح الفوزان: «معنى (لا إله إلا الله)؛ أي: لا معبود بحقٍّ إلا الله، ويدخل فيها تحكيم الشريعة، أما تفسيرها بـ(الحاكمية) فتفسيرٌ قاصِرٌ لا يعطي معنى (لا إله إلا الله)»(٢).

وقال أيضًا: «ومن المعاصرين من يقسِّم التوحيد إلى أربعة أقسامٍ، فيقول: التوحيد أربعةُ أنواعٍ: (توحيد الربوبية، وتوحيد الألوهية، وتوحيد الأسماء والصفات، وتوحيد الحاكمية)، ويستند في هذا إلى أن التقسيم اصطلاحيٌّ، وليس توقيفيًّا، فلا مانعَ من الزيادة على الثلاثة، ويقال لهذا: ليس التقسيم اصطلاحيًّا؛ وإنما يرجع في التقسيم إلى الكتاب والسُّنَّة والسلف حينما قسموا التوحيد إلى ثلاثة أقسامٍ استقرؤوها من الكتاب والسنة، أما الحاكمية فهي حقٌّ، يجب أن يكون التحاكم إلى شرع الله عز وجل، ولكن هذا داخل في توحيد العبادة؛ لأنه طاعة الله عز وجل، والسلف ما أهملوا توحيد الحاكمية حتى يأتيَ واحدٌ متأخِّرٌ فيُضيفَه! بل هو عندهم داخِلٌ في توحيد العبادة (توحيد الألوهية)؛ لأن من عبادة الله جل وعلا طاعتَه بتحكيم شرعِه، فلا يجعل قسمًا مستقلًّا، وإلا لَزِم من ذلك أن تجعل الصلاة من أقسام التوحيد، وتجعل الزكاة قسمًا، والصيام قسمًا، والحج قسمًا، وكلُّ أنواع العبادة أقسامًا للتوحيد، ويجعل التوحيد أقسامًا لا نهاية لها! وهذا غلطٌ؛ بل أنواع العبادة كلِّها تندرج تحت قسمٍ واحدٍ وهو توحيد الألوهيَّة، فإنه جامعٌ لها، مانِعٌ من دخول غيرها معها»(٣).

الوجه الثالث: وأما قوله: «وإنَّ مشكلة هذا الدين في الأرض اليوم لَهِيَ قيام الطواغيت التي تعتدي على ألوهية الله، وتغتصب سلطانه، وتجعل لأنفسها حقَّ التشريع بالإباحة والمنع في الأنفس والأموال والأولاد...»؛ فهذه العبارة فيها سوءُ أدبٍ مع ربِّ العالمين، وإن كان قائلها لم يقصد ذلك، فالغاصب يفعل ذلك من مركز قوَّةٍ وسيطرةٍ، فغصبْه على الشي قهْرُه وغصبُه منه، والمغتصَب بالفتح لا يُغتَصَب منه شيءٌ إلا وهو في حالة

---

(١) موقع الإسلام سؤال وجواب، الشيخ: عبد الله الغنيمان.

(٢) شرح كشف الشبهات، الشيخ صالح الفوزان، (ص: ٤٦).

(٣) دروس من القرآن الكريم، الشيخ صالح الفوزان، (ص: ١٧).

ضعْفٍ يَعجزِ فيها عن ردِّ الاعتداء أو منع الغاصب، وتعالى الله وتنزَّه عن ذلك، قال تعالى: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ﴾ [الزمر: ٦٧].

٤- **يقول سيد قطب:** «إنَّ عبادة الأصنام التي دعا إبراهيم عليه السلام ربَّه أن يجنِّبَه هو وبنِيه إيَّاها، لا تتمثل فقط في تلك الصورة الساذجة التي كان يُزاولِها العرب في جاهليَّتِهم، أو التي كانت تزاولها شتَّى الوثنيَّات في صور شتَّى مجسَّمة في أحجارٍ، أو أشجارٍ، أو حيوانٍ، إنَّ هذه الصورة الساذجة كلَّها لا تستغرق صُوَرَ الشركِ بالله، ولا تستغرق كلَّ صور العبادة للأصنام من دون الله، والوقوف بمدلول الشرك عند هذه الصورة الساذجة يمنعُنا من رؤية صور الشرك الأخرى التي لا نهايَةَ لها، ويمنعنا من الرؤية الصحيحة لحقيقة ما يعتري البشرية من صُوَرِ الشرك والجاهلية الجديدة»(١).

وقال عن مُشركِي الجاهلية: «إنما كان شرْكُهم الحقيقي يتمثل ابتداءً في تلقِّي منهج حياتهم وشرائعهم من غير الله؛ لا في عبادة الأصنام تقرُّبًا واستشفاعًا إلى الله مع تقديم النذور وذبح الذبائح والقرابين لها؛ مع تقديسها وطلب ما لا يجوز طلبُه إلا من الله، كلُّ هذا لم يلتفت إليه، الأمر الذي يشاركهم فيه اليوم أقوامٌ يظنون أنهم مسلمون على دين محمد، كما كان المشركون يظنُّون أنهم مهتدون على دين إبراهيم»(٢).

والردُّ على هذه الأقوال من وجوهٍ:

الوجه الأول: مما هو معلومٌ أنه لا يوجد مسلمٌ عاقلٌ يقصر الشرك على عبادة الأصنام، فهناك صورٌ للشرك متعدِّدةٌ؛ كالإشراك مع الله في حكمه، وصرف العبادات للأولياء والصالحين؛ الأحياء منهم والأموات، وكذلك الشرك الأصغر.

لكن الخلاف هو وصْفُ سيد قطب لعبادة الأصنام؛ بأنها صورةٌ من صور الشرك الساذجة؛ وتهوينه من دعوة الأنبياء التي ركَّزت على النهي عن عبادة الأصنام والأوثان.

الوجه الثاني: فيه صرْفُ الدعاة عن أعظم وأكبر أنواع الكفر والشرك الذي حاربَه كلُّ الأنبياء والمرسلين والمصلحين، وأدركوا أنه أعظم ذنبٍ عُصِيَ به الله.

الوجه الثالث: لقد أغفل سيد قطب الشرك الحقيقي والأوثان الحقيقيَّة؛ التي لا تزال قائمةً على أشدِّها في معظم البلدان، وعبادتها وتقديسها عند غالِبِ الشعوب بمختلف طبقاتهم، سواءٌ كانوا من العوامِّ أو من المثقفين؛ مثل عبادة الأصنام بالهند وكوريا واليابان

(١) في ظلال القرآن، سيد قطب، (٤/ ٢١١٤).
(٢) في ظلال القرآن، سيد قطب، (٣/ ١٤٩٢).

والصين، وعموم دول شرق آسيا، بل يوجد عند غالب سكان هذه البلاد تمثالٌ مصغَّرٌ لـ(بوذا) في المنازل والشوارع ومعابدهم.

وكذلك تقديس الصلبان والصور عند النَّصارى، كما تجاهل شرك القبور عند أهل القبلة؛ حيث تُدْعَى من دون الله، ويعتقدون أنها تتصرَّف في الكون وتُجِيب المضطر وتكشف السوء، كما في مئات القبور في مصر -بلد المؤلِّف نفسه-، وفي شرق آسيا، وكثير من الدول الإفريقية الإسلامية، وشبه القارة الهندية، فلم يتطرق لها في كافة مؤلفاته.

أما الشرك الذي خافَه الأنبياء؛ كما هو حال نبي الله إبراهيم عليه السلام، كما في قوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَٰذَا الْبَلَدَ آمِنًا وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعْبُدَ الْأَصْنَامَ﴾، [إبراهيم: ٣٥]، والشرك الذي حذَّر لقمانُ منه ابنَه: ﴿وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ ۖ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [لقمان: ١٣]، هي صورةٌ ساذجةٌ، فللـه المشتكى.

ولذلك النبي عليه الصلاة والسلام لما دخل مكة منتصرًا ودانتْ له قريشٌ، فأوَّل شيء صنَعَه هدَمَ الأصنام؛ وقد ثبت في الصحيحين عن عبد الله بن مسعود أنه قال: دخل رسول الله ﷺ مكة يوم الفتح، وحول الكعبة ثلاثمائة وستون نُصُبًا، فجعل يطعنها بعود كان بيده، ويقول: «جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقًا، جاء الحق وما يبدئ الباطل وما يعيد»(١).

ولم يكتفِ الرسول صلى الله عليه وسلم بهدم الأصنام لما فتَحَ مكة، بل ثبت أنه بعث خالد بن الوليد إلى نخلة وكانت بها (العُزّى)، فأتاها وكانت على ثلاث سمراتٍ، فقطع السمرات، وهدم البيت الذي كان عليها(٢).

وثبت في صحيح مسلم، عن جرير بن عبد الله أنه قال: كان بيتٌ في الجاهلية يقال له ذو الخَلَصَة، والكعبة اليمانية، والكعبة الشامية، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « هل أنت مريحي من ذي الخَلَصَة، والكعبة اليمانية والشامية؟ فنفرْتُ إليه في مائة وخمسين من أحمس فكسرناه، وقتَلْنا من وجدنا عنده، فأتيتُه فأخبرته، فدعا لنا ولِأَحْمَس»(٣).

قال الندوي: «كلُّ من له صلة بالقرآن وهو الكتاب المهيمن على الكتب السالفة يَعرِف اضطرارًا وبداهةً أن القضاء على هذه الوثنية والإنكار عليها ومحاربتها وإنقاذ الناس من براثنها كان هدف النبوة الأساسي، ومقصد بعثة الأنبياء، وأساس دعوتهم، ومنتهى

(١) رواه مسلم في صحيحه، كتاب: الجهاد والسير، رقم الحديث: (١٧٨١).
(٢) انظر: البداية والنهاية، (٤/ ٣٦١)، والمغازي للواقدي، (٣/ ٨٧٣).
(٣) رواه مسلم في صحيحه، كتاب: فضائل الصحابة رضي الله تعالى عنهم، رقم الحديث: (٢٤٧٦).

عملهم، وغاية جهادهم، وأما مظاهر الجاهلية الأخرى؛ كالطاعة لغير الله، والتحاكم إلى غير الله، وقبول التشريع الغير إلهي، وتسليم حكومة لا تقوم على النيابة عن الله وعلى أحكامه؛ فكلُّ ذلك يتبع هذه الوثنية والشرك، ويأتي بعده، ولا يجوز أن يقلل من شأن هذا الشرك الجليِّ المتقدِّم ذكرُه وأهميته، وأن يوضع في الهامش من منهاج دعوة أو جهاد، أو يساوى بينه وبين معاني الطاعة والحكم السياسية، ويحكم عليها حكمًا واحدًا، فلا تزال الوثنية والشرك تقوم على قدمٍ وساقٍ بأشكالها وأنواعها القديمة، وما يصنعه الجهلةُ من الناس من أعمال الشرك الجليِّ عند ضرائح الأولياء والصالحين فيه كفايةٌ ومَقْنَعٌ، فلم يتركوا شيئًا من غوايات الجاهلية القديمة، ومحاربة هذا الشرك هو الركنُ الأساسي في الدعوات الدينية وحركات الإصلاح إلى يوم القيامة، وهو تراث النبوة الخالد، وشعار جميع الدعاة إلى الله وجميع المصلِحين المجاهدين»[١].

ويقول الندوي في الردِّ على التهوين من مسائل الشرك: «هذه العبارة تنمُّ على أنَّ الإشراك في الحكم والإشراك في الألوهية أو العبادة يتساويان ولا يتفاضلان؛ بل إنهما شيءٌ واحدٌ، ومن يُقصِر مطالعته على هذه المقالات والكتابات وحدَها، ويعيش فيها ويتنفس في جوِّها، ويتغذى بها عقليًّا وفكريًّا، تتأكد في نفسه أوَّليَّة الإشراك في الحكم وأهميته طبيعيًّا، وتتضاءل عنده شناعة الإشراك في العبادة»[٢].

ومن خلال النُّقُولات السابقة يلاحظ التطابق الشِّبْه الحرفي في تقريرات المودودي وسيد قطب في تفسيرهم السياسي المنحرف للإسلام؛ ويتمثل هذا التطابق في ثلاثة أمور:-

١-أن الغاية العظمى من الخلق وإنزال الكتب وبعث الرسل؛ هي إقامة الحكومة الإلهية.

٢-التهوين من شأن العبادات، بوصْفِها وسائل لتحقيق الغاية الأسمى، وهي تحقيقُ حاكميَّة الله في الأرض وإقامة الحكومة الإلهية.

٣-تضاؤلٌ في شناعة الإشراك في العبادة، باعتبارها جاهليةً بدائيةً قديمةً لا تستحقُّ عناء صرف الجهد لمقاومتِها وبيان بشاعتها.

٤-التكفير الصريح في حق الحكام والدعوة إلى الانقلاب السياسي.

٥-الدعوة لسلوك جميع الطرق -المشروعة وغير المشروعة- للوصول للهدف المنشود والغاية الحقيقية؛ وهي إقامة الدولة الإسلامية، من خلال ثوراتِ الشعوب والتحريض على الخروج.

(١) التفسير السياسي للإسلام، الندوي، (ص: ٢٧٢، ٢٨٣).

(٢) التفسير السياسي للإسلام، أبو الحسن الندوي، (ص: ٢٧٠).

المبحث الثالث: الآثار المترتبة لمفهوم التفسير السياسي للإسلام الذي تبنته جماعة الإخوان

يتبين لنا مما سبق أن الانحراف في مفهوم أصل الدين وغايته وحصره الدين في زاوية سياسية ضيقة مفادها أن الغاية الكبرى هي قيام الدولة لا إقامة الدين؛ **تولَّد منه عدَّةُ أمور:-**

- تهميش أقسام التوحيد الثلاثة واختزال التوحيد في توحيد الحاكمية فقط.
- أنَّ الأنبياء بُعِثوا من أجل مهمةٍ مقدَّسةٍ، وهي الانقلاب السياسي والوثوب على السلطة والحكم.
- التركيز على هدف الوصول للسلطة والحكم أولًا وإغفال منهج الدعوة إلى الله، وإصلاح الناس: وهذا بلا شكٍّ مُخالِفٌ لدين الله وما سار عليه الأنبياء والرسل عليهم السلام.
- انتشار ظاهرة التكفير الجماعي والتكفير بالجملة، دون إعمال الشروط وانتفاء الموانع.
- أنَّ جميع الحكام كفارٌ مُرتدُّون خرجوا من الإسلام؛ لعدم تحقيقهم توحيد الحاكمية.
- أنَّ جهاد الحكام وجيوشهم من أجلِّ الأعمال وأزكاها عند الله عز وجل.
- أنَّ كلَّ من يُقتَل منهم في سبيل هذه المهمة العظمى في جهادهم للحكام وجيوشهم؛ فحكمه حكمُ الشهيد: لا يُغسَّل ولا يُكفَّن.

وقد تصدَّى علماء أهل السنة- وبخاصَّةً في بلاد الهند-، لهذا التفسير السياسي المنحرف للإسلام الذي قرَّره البنَّا، والمودودي، وسيد قطب؛ وكان من هؤلاء العلماء:-

١- العلامة الشيخ عبد العزيز بن باز -رحمه الله- الذي أرسل رسالة نُصْحٍ للمودودي عندما كان رئيس الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، حينما بلغه أنَّ المودودي يُفسِّر العبادة بالطاعة(١).

٢- العلامة المفكر وحيد الدين خان، من أعضاء الجماعة الإسلامية في الهند، والذي خالف منهج المودودي في تفسيره للإسلام عام (١٩٥٩م)، فقد ناصحه عدَّة مرَّات وتحاور مع كثير من قيادات الجماعة حول ذلك قبل أن يستقيل من عضوية الجماعة (١٩٦٢م)، كما سجَّل مراسلاتِه ومحاوراتِه مع المودودي وغيره في كتابه (خطأ في

(١) انظر: فتاوى الشيخ ابن باز، (٥/ ١٧، ١٨).

التفسير)، ولخَّصه في رسالة مُوجزة سمَّاها (التفسير السياسي للدين)، فكان للعلامة وحيد الدين خان الأوَّلية في التأصيل والتقعيد لهذا التفسير.

٣- العلامة الشيخ أبو الحسن علي الندوي -رحمه الله-، الذي تنبَّه إلى خطر التفسير السياسي للإسلام في وقتٍ مُبكِّرٍ؛ حيث ألقى الندوي عدَّةَ محاضراتٍ ضمَّنَها نقْدَ هذا المنهج، وألَّف لذلك كتابه: (الأركان الأربعة)، ثم كتابه: (التفسير السياسي للإسلام).

٤- العلامة الشيخ عمر بن أحمد المليباري -رحمه الله-، عُنِي عنايةً بالغةً بنقْدِ المودودي وجماعته في تفسير العبادة بالطاعة، وغُلُوهم في ذلك، فقد كتب إلى كثيرٍ من العلماء مُبيِّنًا هذا المنهج الجديد، ومستفتيًا لحكمِهم فيه؛ منهم: الشيخ عبد العزيز بن باز -رحمه الله-، الذي قدَّم لكتابه: (معنى لا إله إلا الله)؛ وهو ردٌّ على التفسير السياسي المنحرف للإسلام[1].

---

(١) انظر: مقدمة (معنى لا إله إلا الله)، عمر المليباري.

الخاتمة:

في ختام هذا البحث أحمد الله-عزوجل- على إتمامه وإنجازه، وهذه أهم النتائج التي جاءت فيه:-

١-الانحراف في تفسير أصل الدين وغايته من خلال جعل غاية الدين الكبرى هي إقامة دولة الإسلام.

٢-الانحراف في تفسير ماهية التوحيد وماهية الشرك من خلال تضخيم مسائل الحاكمية، والقولِ بأن كفْرَ وهلاكَ الأمم السابقة لم يكن بسبب إنكارِهم لربوبية الله تعالى وألوهيته؛ بل لتحكيم قوانين وشرائع ملوكهم ورفضهم شرائع الله ﷻ، (شرك الحاكمية).

٣-الانحراف في تفسير دعوة الأنبياء والرسل من خلال القول بأنَّ الأنبياء بُعِثوا من أجل مهمةٍ مقدَّسةٍ، وهي الانقلاب السياسي والوثوب على السلطة والحكم، وليس للدعوة إلى دين الحق، والأمر بتوحيد الله وعبادته، والنهي عن الشرك.

٤-التهوين من شأن جميع العبادات بما فيها مباني الإسلام العِظام، وأنها مجرَّدُ وسائل تدريبية تعد المسلمين للقتال والوصول للمهمة الكبرى وهي السلطة.

التوصيات:

١-أوصي بتضمين المناهج الدراسية من المرحلة المتوسطة والثانوية، والمراحل الجامعية؛ بتفنيد الأفكار الهدامة التي تدعوا لها جماعة الإخوان المسلمين-ومن وافقهم-؛ باستنادها على التفسير السياسي المحدث للإسلام.

٢-الاهتمام بدراسة كتب ورسائل مؤسس جماعة الإخوان حسن البنا وكبار منظري الجماعة كالمودودي وسيد قطب دراسة أكاديمية موسعة؛ لتفنيدها والرد عليها.

٣-أوصي بدراسة التفسير السياسي المنحرف للإسلام دراسة أكاديمية عند بقية الجماعات والتنظيمات المعاصرة كتنظيم القاعدة وما تفرع عنه من تنظيمات.

هذا ما تيسر وأسأل الله العظيم الثبات على الحق وحسن الختام والحمد لله رب العالمين.

فهرس المصادر والمراجع:

١- البداية والنهاية، عماد الدين ابن كثير، تحقيق: مجموعة من الأساتذة، الناشر: دار الكتب العلمية.

٢- التفسير السياسي للدين، وحيد الدين خان، تحقيق: عبدالحق تركماني، الناشر: مركز دراسات تفسير الإسلام.

٣- التاريخ السري لجماعة الإخوان المسلمين، علي عشماوي، الناشر: مركز ابن خلدون.

٤- السلسلة الصحيحة، محمد ناصر الدين الألباني، الناشر: مكتبة المعارف.

٥- الاقتصاد في الاعتقاد، محمد الغزالي، اعتنى به: أنس الشرقاوي، الناشر: طبعة دار المنهاج.

٦- تفسير القرآن العظيم، عماد الدين ابن كثير، تحقيق: حكمت بشير ياسين، الناشر: دار ابن الجوزي.

٧- تيسير الكريم الرحمن، عبدالرحمن السعدي، تحقيق: عبدالرحمن اللويحق، الناشر: مؤسسة الرسالة.

٨- دروس من القرآن الكريم، صالح بن فوزان الفوزان، الناشر: دار العاصمة.

٩- رسائل الإمام الشهيد حسن البنا، حسن البنا، الناشر: دار الدعوة.

١٠- سنن أبي داود السجستاني، تحقيق: محمد محيي الدين عبدالحميد، الناشر: المكتبة العصرية.

١١- شرح صحيح مسلم، محي الدين النووي، الناشر: دار الريان.

١٢- شرح كشف الشبهات، الشيخ صالح بن فوزان الفوزان، اعتنى به: سلمان السويلم، الناشر: دار التراث الذهبي.

١٣- صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج، تحقيق: محمد فؤاد عبدالباقي، الناشر: دار الكتب العلمية.

١٤- العبودية، ابن تيمية، تحقيق: محمد زهير الشاويش، الناشر: دار المكتب الإسلامي.

١٥- عقيدة التوحيد، صالح فوزان الفوزان، الناشر: مكتبة دار المنهاج.

١٦- غاية المرام في علم الكلام، أبو الحسن الآمدي، تحقيق: حسن محمود عبداللطيف، الناشر: المجلس الأعلى للشئون الإسلامية.

١٧- فتاوى على الطريق، محمد صالح العثيمين، الناشر: مؤسسة محمد العثيمين الخيرية.

١٨- في ظلال القرآن، سيد قطب. الناشر: دار الشروق.

١٩- مجموع فتاوى ابن تيمية، جمع: عبدالرحمن بن قاسم، الناشر: عالم الكتب.

٢٠- مجموع فتاوى الشيخ عبدالعزيز بن باز، جمع: محمد الشويعر، الناشر: دار الإفتاء.

٢١- مختصر المقاصد، أبو عبدالله الزرقاني، تحقيق: محمد لطفي الصباغ، الناشر: المكتب الإسلامي.
٢٢- مسند أحمد، أحمد بن حنبل، تحقيق: شعيب الأرنؤوط ومجموعة من الأساتذة، الناشر: مؤسسة الرسالة.
٢٣- المصطلحات الأربعة، أبو الأعلى المودودي، الناشر: دار القلم.
٢٤- المغازي، أبو عبدالله الواقدي، تحقيق: مارسدن جونس، الناشر: دار الأعلمي.
٢٥- المقاصد الحسنة، شمس الدين السخاوي، تحقيق: محمد عثمان الخشت، الناشر: دار الكتاب العربي.
٢٦- مشكاة المصابيح، محمد بن عبدالله التبريزي، التحقيق: محمد ناصر الدين الألباني، الناشر: المكتب الإسلامي.
٢٧- معالم التنزيل، أبو الفراء البغوي، تحقيق: مجموعة من الأساتذة، الناشر: دار طيبة.
٢٨- معالم في الطريق، سيد قطب، الناشر: دار الشروق.
٢٩- معنى لا إله إلا الله، عمر المليباري، تحقيق: عبدالحق التركماني، الناشر: مركز دراسات تفسير الإسلام.
٣٠- منهاج السنة النبوية، ابن تيمية، تحقيق: محمد رشاد سالم، الناشر: جامعة الإمام.
٣١- المودودي، محمد زكريا الكاندهلوي، الناشر: دار الاعتصام.
٣٢- نظرية الإسلام السياسية، أبو الأعلى المودودي، الناشر: دار الفكر.

التقارير والمقالات والأشرطة المنشورة على الشبكة العنكبوتية:

١- اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء، رقم الفتوى: (١٨٨٧٠).
٢- سلسلة الهدى والنور، محمد ناصر الدين الألباني، شريط رقم: (٧٨٤).
٣- صحيفة الرأي العام الكويتية في عددِها الصادر بتاريخ: (٢١/ ٦/ ١٩٨٠ م). العنوان: خطاب الخميني في ذكرى مولد المهدي المنتظر.
٤- مجلة الدعوة، العدد: (١٩) في أغسطس ١٩٧٩م، العنوان: ثورة الخميني.
٥- موقع الإسلام سؤال وجواب، الشيخ: عبد الله الغنيمان، العنوان: إفراد توحيد الحاكمية بقسم مستقل.
٦- موقع يوسف القرضاوي على الشبكة، بعنوان: تأثر سيد قطب بالمودودي.